OUP—1700—8-11-77—7,000.

ع OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ٩٢٣٫١٦٢ Accession No. A, 591
معزالدین اللہ ص

Author الجحی القدیم (ح)

Title الخلیفة المعز الدین اللہ

This book should be returned on or before the date last marked below.

الخليفة المعز لدين الله

باني القاهرة ومنشىء الجامع الازهر

ما كان مرتدا ولا نصرانيا

ولكن كان حنيفا مسلما

ان الدين عند الله الاسلام قرآن كريم	الاسلام دين الدولة الدستور المصري م ١٣٨

بقلم

الصحفي القديم الاستاذ (ح)

مكتشف الدسيسة المرقسية على المسلمين

وهو كتاب

يشتمل على رد فرية مرقس سميكة باشا التي دسها في تقويم الحكومة سنة ١٩٣١ بتعميد الخليفة المعز لدين الله فى كنيسة ابي سيفين ودفنه بها وتاريخ الخليفة واقوال كبار الكتاب ومباحث الصحف في هذا الموضوع واعتراف مرقس سميكة باشا بتكذيب نفسه اضطراراً

*

الخليفة المعز لدين الله

بانى القاهرة ومنشىء الجامع الازهر

ما كان مرتدا ولا نصرانيا

ولـكن كان حنيفا مسلما

بقلم

الصحفى القديم (ح)

مكتشف الدسيسة المرقسية على المسلمين

وهو كتاب

يشتمل على رد فرية مرقس سميكة باشا التي دسها في تقويم الحكومة سنة ١٩٣١ بتعميد الخليفة المعز لدين الله فى كنيسة ابي سيفين وتاريخ الخليفة واقوال كبار الـكتاب ومباحث الصحف في هـذا الموضوع واعتراف مرقس سميكة باشا بتكذيب نفسه

*

*



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد المبعوث لتتميم مكارم الاخلاق. ونشر العدل والحرية في الآفاق . وأي عدل وأية حرية أكبر من قوله تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »

صدق الله العظيم

*

أما بعد : فما أكبر خسارة أولئك الذين يشغلون انفسهم بتعكير الصفاء الانساني فى محاولتهم تغيير عقائد الناس واديانهم !

ولو كانوا من أهل الخير حقيقة كما يتظاهرون لعرفوا ان هداية البشر الى المنافع وتنوير البصائر ورفع ما يستر سر الحياة عن عقولهم كل ذلك أعود بالنفع وأولى من تلك المحاولة التي لاطائل تحتها اليوم وقد طغى سيل المدنية حتى اكتسح أمامه أغراض أولئك المحاولين

ألدين لله والقلب مقر الدين وكل ما كان القلب مقراً له فمحال اقتلاعه منه لأنه يسري مع الدم فى جريان دورته وهيهات أن يكون للجدل اليه من سبيل

من أجل ذلك ينشأ النزاع الدينى فتقوم المعارك على حواشيه ، فتغشى على العقل فلا يعود ينظر الى النتائج من خير أو شر

فالذين افتتنوا باثارة هذه المنازعات انما هم قوم أعداء للسلام أعداء للمحبة الانسانية اعداء للراحة والطمأنينة

ومن أظلم ممن دعا الى الفتن يستثيرها بما يحرج به الناس فيما اطمأنت له نفوسهم وتواضعت عليه رغباتهم فما كانوا إلا شياطين يوسوسون فى الصدور يوغرونها على الغير

فما بالك بمن يقتحمون القبور على الاموات الهادئين في مراقد الأبدية لينزعوا عن رءوس سمعتهم أشرف تيجان طالما فخروا بها في حياتهم وكانت زادهم الى الله فى دار الخلود

وصلت الى يدي نسخة من التقويم الذي أصدرته الحكومة المصرية عن عام ١٩٣١ بعد ان مضى نحو ثلثى العام وقد غم عليّ الأمر فلم أعرف ما هو سبب هذا التأخير فى اصداره ثم تضمينه إفكاً كبيراً

تصفحت التقويم فبغتني فيه أمر ذو بال وهو ما أتي به المدعو مرقص سميكة باشا من أن الخليفة العلوي الفاطمي أمير المؤمنين المعز لدين الله فاتح مصر وباني القاهرة ومنشيء الجامع الازهر تعمد بعمودية الكنسة أي ارتد عن الدين الاسلامي (والعياذ بالله) ثم مات نصرانياً ودفن في كنيسة أبي سفين بمصر القديمة

بغتني هذا الأمر فرجعت الى ذاكرتي استحثها لترشدني الى هذه الفاجعة فما ارشدتني الا الى أن هـذا الخليفة هو أقرب الخلفاء الى بيت نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ومهما قال المتخاصمون على الملك في اعدائهم فلم يجرأ أحد على أن ينسب الى ذلك الخليفة العظيم مثل هذه الفرية الكبرى وهو أجدر من يستطيع أن يقول :

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الآثار

رجعت الى كثير من الاسفار التاريخية الموثوق باصحابها اقلبها فما وجدت لهذه الفرية عينا ولا أثراً . وخلاصة جميع الروايات تقول فى تفصيل للوقائع عن هـذا الخليفة العظيم انه :

علم من اعلام الاسلام وفاتح عظيم فى الاوج الاعلى بين غزاته المسلمين ظهر في بلاد الموحدين ظهور الكوكب في أفق السماء يضيء المشرقين . هذا هو الخليفة المعز لدين الله أبو تميم معد المعهود له بولاية العهد من والده الخليفة (المنصور بالله أبو الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله ابي القاسم محمد عبيد الله العلوي الحسيني المتوفى فى شهر شوال من سنة ٣٤١ هجرية فى مدينة المنصورية عاصمة بلاد المغرب في ذلك العهد والمدفون فى قصره بها)

والمعز لدين الله أول الخلفاء العلويين في مصر كان له غرام بعلم النجوم فكان يقرب المنجمين اليه وكان عالما فاضلا جواداً ذا شجاعة نادرة

فلما افضى اليه الامر بعد وفاة أبيه أقام فى تدبيره الى السابع من ذي الحجة سنة ٣٤٥ ثم اذن للناس فدخلوا اليه وسلموا عليه بالخلافة وعمره يومئذ أربعا وعشرين سنة وقد اتخذ عن أبيه حسن السيرة فكان عادلا في رعيته منصفا لها ومن الدلائل على حكمته ورجاحة عقله انه لما دخلت سنة ٣٤٦ وهو حديث العهد بالخلافة نظر في سيرة من تقدمه من الملوك والخلفاء فرآى أن جبل « أوراس » هو الملجأ الذي يتخذه كل خارج على ولى الامر فهيأ عسكراً وأصعده الجبل فجال فيه حتى هاب المعز كل

من فى الجبل وأتوا اليه وبايعوه على الطاعة والولاء رهبا من بطشه ورغبا فى رفده واحسانه

أما جبل أوراس هذا فكان فيــه أشد القبائل مراسا واعصاهم شكيمة ومنهم بنو كلان ومليله وهواره وبالرغم من انهم لم يدخلوا فى طاعة ملك ولا خليفة من قبل فقد أطاعوا المعز ودانوا له مع سائر من في الجبل

ومما يدل على حسن سيرته انه أمر نوابه ان يوزعوا الاحسان على البربر فجاؤه من كل فج طائعين .

فلما استعبد الناس باحسانه وحسن منطق لسانه.عظم أمره وكبر شأنه على حداثة سنه حتى أن أخاه محمد بن خزر الزناتي جاءه مع غيره مستأمنين فلم يبخل عليه بأمانه مع ما كان بينهما وزاد على ما أمل منه ان أحسن اليه .

فلما عرف ان الامر قد انتهى اليه وان ملكه قد استوى على الجودى بدأ يسير الجيوش لفتح الامصار كما كان الشأن في تلك العصور للغزاة والفاتحين وكان قد اتخذ أبا الحسن جوهراً الصقلي من وزرائه وقواده لعظم مكانته عنده ففى شهر صفر سيره في عسكر كثيف الى اقاصى المغرب وصحبه بمشاهير القواد ومنهم زيري بن مناد الصنهاجي .

سار هذا الجيش المعزي حتى وصل الى « تاهرت » فحضر اليه يعلى بن محمد الزناتى فأكرمه وأحسن اليه ولـكنه انتقض بعد ذلك فأمر جوهر بالقبض عليه فثار أصحابه فقاتلهم حتى هزمهم واقتفى اثرهم حتى وصل الى مدينة « افكان » فاقتحمها بالسيف واستصفى قصور يعلى وأخذ ولده وكان صبيا كما أخذ ما فى افكان وأمر بهدمها واحراقها بالنار على طريقة الغزاة في ذلك العهد وذلك فى شهر جمادى الآخرة من تلك السنة

ولما تم له هذا النصر سار الى فاس وكان بها صاحبها احمد بن بكر فأغلق أبوابها وتحصن خلفها فنازلها جوهر وقاتلها مدة فلم تفتح له لشدة تحصينها وقوة معاقلها

ثم جاء الامراء الفاطميون من أقاصي السوس الى جوهر يحملون اليه الهدايا والتحف . فأشاروا عليه بفك الحصار عن فاس والتوجه بجيوشه الى سجلماسة وكان

صاحبها محمد بن واسول قد لقب نفسه بالشاكر لله ويخاطب بأمير المؤمنين وضرب النقود باسمه واستمرت له هذه الحال ستة عشر عاما

فلما قدم اليه جوهر بجيوشه ترك المدينة وهرب ولكنه قبض عليه في الطريق وجيء به الى جوهر اسيراً

ومازال جوهر في فتوحه حتى انتهى الى بحر المحيط الاطلانطي وقد دانت له تلك البلاد ثم عاد الى فاس فضيق عليها الحصار

ومن دلائل اخلاصه للمعز انه لما وصل الى شاطىء المحيط أمر باصطياد الاسماك فاصطادوا له ما أراد ووضع السمك حياً في أوعية ماء من البحر وأمر بها فأرسلها الى المعز ليدخل على نفسه السرور بأكل طعام شهي من محصول البلاد التي دانت له فتحاً

فتح فاس

بعد ان تم للقائد جوهر فتح البلاد الى شاطىء البحر المحيط عاد الى مدينة فاس فى سنة ٣٤٧ هجرية فقاتلها مدة طويلة فقام زيري بن مناد فاختار من قومه رجالا لهم شجاعة معروفة وأمرهم أن يأخذوا السلاليم وقصد الى المدينة فصعدوا الى السور الادنى فى السلاليم وأهل فاس آمنون فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه من الحراس ونزلوا الى السور الثانى وفتحوا الابواب واشعلوا المشاعل وضربوا الطبول وكانت العلامة بين زيري وجوهر فلما سمع جوهر الطبول ركب فى العساكر فدخل فاسا فاتحا

أما صاحب فاس فانه استخفى ومضى عليه يومان ثم القي القبض عليه وأضيف الى صاحب سجلماسة وارسلهما جوهر كليهما اسيرا إلى المعز في بلده المهدية وكل منهما فى قفص من حديد

أما امارة تاهرت فقد اعطاها جوهر الى زيري جزاء اخلاصه للمعز ولدولته

فتح مصر

مضى نحو أحد عشر عاما علا فيها نجم المعز لدين الله وقد ارتفع سلطانه وقويت شوكته بما تأثل له من مجد وعظمة

وفى سنة ٣٥٨ سير الى مصر القائد جوهرا الذي اسلفنا ذكره في فتح فاس وجوهر كان قبل ذلك غلاما من بني الروم عند المنصور بالله والد المعز فهو ربيب نعمة ذلك البيت العظيم

وكان تحت إمرة جوهر جيش كثيف للاستيلاء على مصر . والسبب فى ذلك انه لما مات كافور الاخشيدي صاحب مصر اختلفت القلوب فيها ووقع بها غلاء شديد حتى بلغ ثمن الخبز كل رطل بدرهمين والحنطة كل ويبة بدينار وسدس دينار مصري

فلما بلغت تلك الحال السيئة مسامع المعز لدين الله وهو في بلاد المغرب سير جوهراً اليها لانقاذها من محنتها وقد هون عليه الأمر طمعه بامتلاكها وكانت شهرة هذا القائد قد طبقت الآفاق

فلما وصل خبر قدومه الى العساكر الاخشيدية بمصر وحالتهم وحالة البلاد كما وصفنا تعلقوا باذيال الهرب جميعا قبل وصول الجيوش اليهم

دخل جوهر مصر فى السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٥٨ فدعا اهلها لطاعة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وكان بدء دعوته في شوال

أما الذي جهر بالدعوة على منبر الجامع العتيق (جامع عمرو) فهو الخطيب أبو محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطى

وفي جمادى الاولى من سنة ٣٥٩ سار جوهر بنفسه الى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن « حي على خير العمل » وهو أول ما أذن به في مصر ثم امتد الآذان بعد ذلك الى الجامع العتيق وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم

بناء القاهرة

ولما استقر جوهر بمصر

شرع في تخطيط القاهرة وبناء الجامع الازهر واعماله كثيرة في هذا الباب غير منكورة

امتلاك المعز لدمشق وبلاد الشام

فتح الرملة

لما استقر القائد جوهر بمصر وثبتت قدمه فيها جهز لجعفر بن فلاح الكتامى

جمعا كبيراً ووجهه به الى الشام فبلغ الرملة فى فلسطين في ذي الحجة من هذه السنة وكان بها محمد ابو الحسن بن عبد الله بن طغج فجرت بينهما حروب انتهت بانتصار جعفر بن فلاح وأسر بن طغج وغيره من القواد فسيرهم الى جوهر بمصر وهذا بعث بهم الى المعز بافريقيا

دخل جعفر الرملة فاتحا وقتل كل من قاومه،أما المسالمون فانه أمنهم على أموالهم وأرواحهم مقابل دفع الخراج

طبرية مسالمه

وسار جعفر الى طبرية فوجد صاحبها ابن المللهم قد دعا الى طاعة المعز لدين الله فتركه على حاله راضيا منه باقامة هذه الدعوة المعزية

دمشق تقاتل

ما كاد جعفر يصل الى دمشق حتى قابله أهلها مقاتلين ولكنه تغلب عليهم وأعمل سيفه فيهم حتى ظفر بهم مغلوبين على أمرهم وأمر جنوده بنهب البلد جزاء مقاومة أهلها ولكن فريقا منهم أظهروا الطاعة فكف عنهم شر الجنود

ثم أمر باقامة الخطبة في الجامع الاموى باسم الخليفة المعز لدين الله يوم الجمعة من أيام خلت من شهر المحرم سنة ٣٥٩

وبذلك قطعت الخطبة باسم الدولة العباسية في عاصمة الامويين

الفتنة

وكان في البلد رجل جليل القدر اسمه الشريف أبو القاسم بن أبي يعلي الهاشمي وهو رجل له خطر في المدينة وجليل قدر وحكمه نافذ في اهلها فجمع أحداث البلد وكل من يجنح للفتنة ثم اتفقوا على أمر يبيتونه لجعفر ذلك أنه فى يوم الجمعة التالية سار الى الجامع وأبطل الخطبة للمعز لدين الله وأعاد الخطبة باسم المطيع لله ثم لبس السواد علامة على الحزن وعاد الى بيته

فلما وصل الخبر الى جعفر أمر بقتاله هو ومن معه فالتحم الفريقان في ملحمة حامية الوطيس وقد أظهر أهل دمشق شجاعة وصبراً على القتال حتي آخر النهار فلما كان في الغد تزاحف الفريقان واستأنفوا القتال فكثر القتل في الفريقين غير أن

جنود جعفر تغلبت على أهل دمشق فانهزموا بين أيديهـم حتى وصلوا الى أبواب دمشق حيث التقوا بالشريف ابن أبي يعلي وكان يحرض دمشق على القتال ويأمرهم بالصبر على حملات جنود المغاربة المتواصلة

غير أن تلك المقاومة لم تجد نفعا أمام تلك القوى التي تخر لعزماتها الجبال

وصل جنود جعفر الى المدينة فدخلوها فاتحين واستولوا على قصر الحجاج وما فيه من متاع وهرب الشريف بن أبي يعلي ومن معه ممن اشتركوا في الفتنة فأصبح أهل دمشق حيارى وليس بينهم من يرجعون الى رأيه ولا بين أيديهم من استعد للقتال عنهم

ولـكن استخفاء الشريف بن أبي يعلي عن عيون الدمشقيين ما كان الا للوصول الى جعفر بن الفلاح ليكلمه في الصلح فقبل منه وأعاده الى المدينة لتهدئة الاحوال وتسكين الناس وتطييب قلوبهم وأن لا ينالهم من القائد الا الجميل

عاد الشريف ابن أبي يعلي الى الدمشقيين وأبلغهم ما فعل وطلب الى العامة والجنود أن يلازموا منازلهم وأن لا يخرجوا منها الى أن يدخلها جعفر وجنوده ويطوف فيها ويعود الي معسكره ففعلوا ذلك امتثالا للامر

فلما رأى عسكر جعفر أنفسهم في البلد ظافرين أسكرتهم خمرة النصر فركبوا رءوسهم وحملهم الطيش على أن يعيثوا في البلد فساداً فثاروا فيها وحملوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم جماعة وكان الحريق قد أتى على عدة كبيرة من الدور لاشتغال القوم بالحرب عن اطفاء النار ثم شرعوا في تحصين المدينة حيث حفروا الخنادق صيانة لها من المهاجمين واستعدوا للحرب والـكفاح

فأمسك المغاربة عن الهجوم عليهم فمشوا الدمشقيون الى الشريف فطلبوا اليه ان يسعى فيما يعود بصلاح الحال فهدأ روعهم وانظرهم الى يوم الخميس بعده وهو الواقع في ١٦ ذي الحجة سنة ٣٥٩

وفي يوم الجمعة تاليه دخل جعفر بن فلاح المدينة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب خواطرهم وطمأن قلوبهم والقى القبض على جماعة من الاحداث الذين عزيت اليهم الفتن . وفي المحرم قبض على الشريف بن أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي حيث وصل الى سمعه كل ما فعل ثم سيره الى مصر . وبذلك استقر الامر في دمشق

قدوم المعز لدين الله

الى مصر

رأى المعز لدين الله بعد ان تم لجيوشه فتح مصر والشام وارتفاع شأن دولته ان يقدم الى مصر وكان ذلك فى سنة ٣٦١

قام من أفريقية فى أواخر شوال وهي أول رحلة من المنصورية التي بها قبر أبيه المنصور ثم نزل فى سردانية وهي قرية قريبة من القيروان وبها انتظر رحاله وعماله وأهل بيته فجاؤا اليه ومعهم كل متاعه الذي كان بالقصر والاموال التي في الخزائن وكانت شيئاً كثيراً ولكثرة الدنانير وتعذر نقلها بغير نقص فى الطريق سبكت سبائكها على هيئة احجار الطواحين مستديرة ومفرغة من الوسط ووضعت على الجمال كل اثنين فوق ظهر جمل

ولما تم للمعز بين يديه كل متاعه فى سردانيه سير ركبه بعد ان عهد ببلاد أفريقيا الى يوسف بلكين بن زيري منادالصنهاجي الحيرى واستعمله عليهافى غيبته ثم جعل على جزيرة صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين . ولم يعين أحداً على اجدابيا ولا على سرت

وجعل على طرابلس عبد الله بن انجلف الكناني وكان أسيراً عنده ثم عهد بجباية أموال أفريقيا الى زيادة الله بن القديم

وعهد بالخراج الى عبد الله الخراساني وحسين بن خلف الموصدي وأمرهما بالانقياد الي يوسف بن زيري

وبعد ان رتب أموره على هذا النمط وهو بسردانية مدة أربعة اشهر رحل عنها وفي ركابه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله في ادارة الحكم وغير ذلك من اقامة العدل بين الناس ثم أمره بالرجوع الي عمله

ومازال المعز سائراً بجيوشه حتى دخل طرابلس الغرب وهناك تخلف عنه جماعة من الجند الي الجبال فتركهم ثم سار الي برقه وأقام بها فترة ثم رحل المعز لدين الله من برقه الى الاسكندرية فدخلها فى أواخر شعبان سنة ٣٦٢

وقد تلقاه أهل الاسكندرية وأعيانها فلقيهم واكرمهم وأحسن اليهم ثم سار الي القاهرة فدخلها في الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦٢ وأنزل عساكره في مدينتي مصر القديمة والقاهرة الجديدة التي اختطها جوهر القائد فضاقتا عن العساكر فضرب خياما في الفضاء نزلت بها بقية العساكر

ولما دخل المعز لدين الله القصر الذي بناه له جوهر وسار في غرفه خر ساجداً لله وصلى ركتعين شكراً له تعالى على ماهيأ له في مصر من ملكها وتبوء عرشها . وهذا مايفعله المسلم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر

المعز لدين الله يحارب القرامطة

وبعد ان استقر المعز لدين الله في مصر قدم من الاحساء الي الديار المصرية الحسن بن احمد القرامطي لمحاصرتها والاستيلاء عليها واباحتها لاتباعه القرامطه على طريقتهم (١)

فلما سمع المعز لدين الله بقدوم القرامطه الي مصر وكانوا اذا قصدوا بلداً لايرجعون عنه حتى يمتلكوه ويبيحوه لاتباعهم فكتب المعز كتابا الى الحسن بن احمد كبير القرامطه يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته بنى فاطمة الزهراء وانه اذا كان يدعو حقاً لشيعة على بن أبي طالب فهو جده وتكون الدعوة واحدة لان القرامطه يتذرعون في قيامتهم بالدعوة له ولآبائه من قبله ثم وعظه وختم كتابه بالتهديد لكل من يقدم الي مصر معاديا

---

(١) ابتدأ أمر القرامطة في سنة ٢٨٦ هجرية بظهور رجل يعرف بأبي سعيد الجنابي في البحرين وقد اجتمع اليه جماعة من الاعراب مع اتباعه فقوى بهم أمره ولما آنس من نفسه القوة فتك بمن حوله من أهل القرى ثم سار الى القطيف. وشرح حال هذه الطائفة يكاد يشابه من الوجهة الاجتماعية حال البلاشفة اذ بدلا من ظهور لينين فى الروسيا ظهر يحيي بن المهدي ثم سار الى القطيف فنزل على رجل يعرف باسم علي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين وكان يغالي في التشيع لعلي ابن أبي طالب فأظهر له يحيي انه رسول المهدي المنتظر وانه خرج الى الشيعة في البلاد يدعوهم الى أمره لأن وقت ظهوره قد قرب

فلماوصل كتاب المعز الى القرمطى أجاب عليه بقوله

وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله ونحن سائرون اليك على أثره والسلام

ثم أرسل الى الشيعة فى بلاد البحرين وبينهم أبو سعيد الجنابي الذي اشرنا اليه آنفا وكانت مهنته فى ما بين النهرين ان يبيع الطعام للناس ويكتب للتجار ويحسب لهم ما باعوا به

ولما صدق علي بن المعلى هذه الدعوى أرسل الى الشيعة من أهل القطيف يجمعهم ليحيي بن المهدي وكان قد غاب مدة عن القطيف وعاد ومعه كتاب قال انه من المهدي يقول فيه كاتبه انه هو المهدي المنتظر فى آخر الزمان

وقد بعث بهذا الكتاب الى شيعته وان يحيي رسوله قد عرفه بمسارعتهم الى أمر المهدي فليدفع كل رجل منهم الى رسوله يحيي بن المهدي ستة دنانير وثلثي دينار من أموالهم فدفعوا اليه . وبذلك نتشرت الدعوى . وبعد ذلك غاب يحيي مدة ثم عاد الى القوم ومعه كتاب يزعم انه من المهدي يقول فيه ادفعوا اليه خمس أموالكم فدفعوا اليه الخمس

أما يحيي هذا فكان يتردد فى قبائل قيس ويقدم اليهم كتبا يزعم أنها من المهدي وانه ظاهر ولتكن شيعته على أهبة اللقاء

أما اباحية القرامطة فقد روى عنها راوية يقال له ابراهيم الصايغ قال أن يحيي ابن المهدي هذا نزل على أبي سعيد الجنابى بعد غيبة فلما أكلوا الطعام خرج أبو سعيد من بيته بعد ان أوصى امرأته . بيحيي خيراً وان لا تمنعه نفسها ان أرادها ثم بات ليلته خارج بيته حتى ينفرد يحيي وحده ويخلو بزوجة أبي سعيد الجنابى

وقد انتهى خبر هـذا الحادث الى الوالي فقبض على يحيي بن المهدي فضربه وحلق رأسه ولحيته نكالا به وسخطا على تعاليمه الاباحية

أما أبو سعيد فهرب الى جنابا بلده مستخفيا حتى اجتمع بيحيي الذي صار الى قبائل بنى كلاب وعقيل والحريس وقد عظم أمر أبي سعيد بعد ذلك

وكانت له جيوش فى البحرين واغاروا على بلاد هجر حتى اقتربوا من البصرة وما زالوا يشنون الغارات على البلاد والمدائن فى فارس

ولقد عظم شأن القرامطة حتى هددوا الممالك وأذلوا الملوك ودوخوا الامصار

ولم يكد الخطاب يصل الى يد المعز حتى كانت جيوش القرامطة مخيمة في عين شمس فنشب القتال حيث تسرب القرامطة الى داخلية البلاد وكثرت جموعهم فصاروا يعيثون في ارضه مصر فساداً على طريقهم وهي ان كبير القرامطة اذاضرب خيامه فى ناحية معسكراً اجتمع عليه خلق كثير من العرب والعجم ليشاركوا القرامطة فى النهب والسلب والاستمتاع بالنساء ويتبادلها فيما بينهم

فلما خيموا بعين شمس كما أسلفنا كان ضمن من اجتمع بهم من عرب الشام حسان الجراح الطائي أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم فلما رآى المعز كثرة جموع القرامطة استعظم الامر وأهمه وتريث في اخراج جيوش مصر للقتال ضناً بدمائهم ثم أخذ يستشير أهل الرأي من الناصحين له فاشاروا عليه بالسعي بتفريق كلمتهم وإلقاء الخلف بينهم وان ذلك يكون عن طريق ابن الجراح

فكتب المعز اليه واستماله وبذل له مائة ألف دينار ان هو خالف على القرمطي فأجابه ابن الجراح الى ما طلب فاستحلفوه فحلف مشترطا وصول المال وانه اذا وصل المال المقرر انهزم بالناس

فأحضر المعز المال فلما رأوه رأي العين استكثروه فضربوا أكثرها دنانير من النحاس وألبسوها الذهب وجعلو الدنانير المغشوشة في أسفل الأكياس ودنانير الذهب الخالص فى اعلاها ولما حملت الإموال الى ابن الجراح أرسل الى المعز أن يخرج فى عسكره للقتال فى يوم عينه وانه سيقاتل فى وجهة عينها هي الأخرى وفيها ستكون الهزيمة لجيوش القرامطة

ولما حان وقت القتال وألتقى الجمعان حمل المعز بجنوده على جيوش القرامطة فى الناحية التي عينها ابن الجراح فحمل عليهم المعز حملة صادقة فانهزم عرب الشام وتبعتهم سائر العرب

فلما رآى الحسن القرمطي انهزام العرب تحير في نفسه وقاتل بعسكره إلا أن الروح المعنوي فى جنود المعز ارتفعت فحملت على القرمطي وجنوده من كل جانب حتى أرهقوه فولى منهزما فاتبعوا أثره حتى ظفروا بعسكره فأخذوا من فيه أسرى فكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير فأمر المعز بضرب أعناقهم جميعاً والاستيلاء على ما في المعسكر

ثم جرد المعز القائد أبا محمد بن ابراهيم بن جعفر فى عشرة آلاف رجل وأمره باللحاق بالقرامطة والايقاع بهم فاتبعهم وتثاقل فى سيره خوفاً أن تكر القرامطة راجعة اليه فتقضى عليه

أما هم فساروا الى أذرعات ومنها قصدوا الى الاحساء بلدتهم ونجى الله مصر من عبثهم بعزيمة المعز لدين الله ودهائه وأخذه بمبدأ الشورى

فى دمشق

لما بلغ المعز لدين الله نبأ انهزام القرامطة فى الشام وعودة زعيمهم وفلول جيوشهم الى الاحساء أرسل القائد بن ظالم بن موهوب العقيلي واليا على دمشق فدخلها فالتفت حوله الجموع وكثر ماله وصلح حاله وسببه انه كان باقيا بها جماعة من القرامطة ومنهم أبو النجا وابنه وجماعة من الاتباع فألقي ظالم القبض عليهم وحبسهم وأخذ الاموال التى جمعوها وما ملكت ايمانهم من كل شيء

أما القائد أبو محمود الذي سيره المعز لاقتفاء آثار القرامطة المنهزمين فدخل دمشق بعد وصول ظالم اليها بايام قليلة فخرج ظالم الى لقائه فرحا بقدومه آملا فى معاونته اذا عاد القرمطي بجيوش جديدة وطلب اليه ان ينزل عسكره بظاهر دمشق وسلم اليه ما عنده من أسرى القرامطة فحملهم ابو محمد الى مصر وكان بين الاسرى رجل يقال له النابلسي هرب من الرملة وتقرب الى القرمطى ودخل معه دمشق ثم أقام فيها حتى جاء ظالم وأسره مع بقية القرامطة فلما سجن بمصر قال له أبو محمد لقد بلغنى عنك انك قلت اذا كان معك عشرة اسهم رميت الروم بواحد منها وأما التسعة فارمى بها جيوش المعز المغاربة فقال نعم فحكم عليه بسلخ جلده وحشوه تبنا وصلبه .

جنود أبى محمود فى دمشق

بقى الجنود في ظاهر دمشق كما طلب ابو ظالم من قائدهم فلما مكثوا وقتا إمتدت أيديهم بالعبث وقطع الطريق فاضطرب الناس وخافوا

وقد اتفق ان صاحب شرطة دمشق قتل رجلا فثار عليه الغوغاء والاحداث

وقتلوا أصحاب الشرطى فاضطرب حبل الامن غيران ظالما اخذيداري الرعية وكان أهل القرى قد نزحوا الى دمشق لنهب المغاربة الذين مع أبي محمود أموالهم وظلمهم لهم . ثم دخلوا دمشق فكان ذلك سبباً في وقوع فتنة عظيمة فى نصف شوال بين عسكر أبي محمود وبين أهل دمشق وقد نشبت الحرب بين الفريقين الا أن ظالما كانت ضلعه مع الدمشقيين

غير ان المغاربة اتباع أبي محمود لم يكفوا أذاهم فأخذوا قافلة كانت سائرة بالغوطة بجوار دمشق وهي قادمة بحمولها من حوران وقتلوا من رجالها ثلاثة كانوا يذودون عنها فجاء أهل القتلى وحملوا جثثهم ووضعوها فى الجامع ليراها المصلون فكان ذلك سبباً فى الفزع فاغلقوا الاسواق وتحفز الناس للقتال فهدأهم عقلاؤهم

فحاول المغاربة نهب قونيه واللؤلؤة فوقع الصائح في أهل البلد فنفروا وقاتلوا المغاربة وفى السابع عشر من ذي القعدة ركب أبو محمود فى جموعه فزحف الفريقان بعضهم الى بعض غير ان المغاربة تغلبوا على الدمشقيين فانهزموا بين أيديهم الى سور البلد وصبروا عنده على القتال فخرج اليهم من تخلف عنهم وتعاونوا على رشق المغاربة بالنشاب فاثخنوهم جراحا فتراجعوا بين يدي الدمشقيين وهم يلاحقونهم ولكن المغاربة كروا على العامة فهزموهم حتي اعادوهم الى اسوار دمشق فبرز ظالم من دار الامارة فحميت معاطس المغاربة فألقوا النار في دمشق من ناحية باب الفراديس فأحرقوا تلك الناحية وأخذت النار الى القبلة فاحرقت كثيراً من البلد وهلك جماعة من الناس وما لا يحصى من الاثاث والاموال والرجال والدواب

وقد بات الناس على اقبح صورة ، غير ان ذلك كان سبباً فى الصلح بين الفريقين ولكنه صلح لم يدم فانتقض المتصالحون وما زال كذلك الى ربيع الآخر سنة ٣٦٤ فتجددت الفتنة وترددوا فى الصلح فاستقر الامر بين القائد أبي محمود والدمشقيين على اخراج ظالم من البلد وان يقوم بالامر بدلا منه جيش بن الصمصامة (وهو ابن اخت أبي محمود) وتم الاتفاق على ذلك

وخرج ظالم من البلد فسكنت الفتنة بعد ان ولي الأمر جيش بن الصمصامة فاطمأن الناس

غير أن المغاربة عاثوا في البلد فساداً بعد أيام فى باب الفراديس فثار عليهم

أهل دمشق وقاتلوهم وقتلوا من لحقوه وساروا الى قصر بن الصمصامة فهرب منه هو ومن معه من الحرس المغربي ولحق بعسكر خاله فلما كان من الغد وهو أول جمادى الاولى زحف بن الصمصامة فى العسكر على دمشق وقاتل اهلها فقاوموه ولكنه ظفر بهم وهزمهم وأحرق من البلد ما كان قد سلم من الحريق الاول . وقد دام القتال بينهم أياما كثيرة وخربت المنازل وانقطعت المواد الغذائية وسدت المسالك وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد . ولكن هذا الكرب لم يدم وجاء الفرج من مصر بعزل أبي محمود عن قيادة العسكر

والسبب ان بلغ المعز ما قام في دمشق من القتال والتحريق والتخريب فاستنكر منه الفظائع واستبشعها واستعظم حصولها فأرسل الى القائد ريان الخادم والي طرابلس يأمره بالمسير الى الشام لمشاهدة حالها وتحقيق ما وصل الى علمه من أمرها وكشف أمور أهلها وتعريفه بحقيقة الأمر وأن يصرف القائد أبا محمود عنها فامتثل ريان الامر وسار الى دمشق وكشف الامر وكتب به الى المعز وتقدم الي أبي محمود بالانصراف عنها فسار فى جماعة قليلة من عسكره الى الرمله وبقي أكثر العسكر مع ريان

موت المعز لدين الله

استقرت الحال فى الملك للمعز الى سنة خمس وستين وثلاثمائة حتى السابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة اذا ادركته الوفاة فكانت مدة حكمه ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام قضى منها فى مصر سنتين وتسعة أشهر

وقد ولد المعز في المهدية من أعمال افريقية في الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩ تسع عشر وثلاثمائة وله من العمر خمسة وأربعين سنة وستة أشهر تقريباً

وهو أول الخلفاء العلويين الذي ملك مصر ودخلها وكان عالماً فاضلا وله معرفة بعلم الفلك والنظر فى النجوم وهو جواد كريم شجاع حسن السيرة كابيه الخليفة المنصور العلوي صاحب افريقيا . وكان الخليفة المعز منصفاً للرعية عادلا في أحكامه

فرحمه الله رحمة واسعة .

وقد خلفه على الملك ولده العزيز بالله . والملك لله الواحد القهار

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء

هذا ما يكاد يجمع عليه المؤرخون لتاريخ الخليفة المعز لدين الله

إلا ان التقويم زعم ان الخليفة تعمد بعمودية كنيسة أبى سيفين . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

وانها لفرية تنشق لها الارض وتميد بل تخر لها الجبال هداً

انتظرت أن يقوم أحد من أجلة العلماء المسلمين أو كبار الكاتبين متصدياً لنفي ذلك الكذب عن أكبر خليفة له أثر عظيم لا يزال قائما بين ظهرانينا وانها لآثار تشهد له بالعظمة الاسلامية وحسبه فخراً أن يكون من آثاره أكبر وأقدم جامعة علمية في الشرق والغرب معاً وهى الجامع الازهر

طال انتظاري فلم أجد أحداً تصدى لهذا الشأن كأن السياسة قد ألهت الناس عن كل شيء فصرفتهم عن الانتباه لأخص الامور واولاها بالعناية

تقدمت وأنا الضعيف الشأن الصغير القدر لهذا الأمر الخطير فأنشأت فصلا ضمنته رأيي في هذا الموضوع ملفتاً الانظار الى تلافى هذا الخطأ الفاضح فى التاريخ



وقد نشرت جريدة الثغر هـذا الفصل في عددها الصـادر يوم ٥ أغسطس سنة ١٩٣١ افتتاحية لهذا العدد واليك نصه :

هل تنصر المعز لدين الله الفاطمي الحسيني

منشيء الجامع الازهر

هذا مايقوله فى تقويم الحكومة قبطي متعصب

وهل يليق أن يصدر ذلك عن مطبوعات الحكومة الرسمية ؟

فى الناس أفراد لا يستقر لهم قرار إلا اذا أثاروا الفتن بين الشعوب لطبيعة فى نفوسهم أقل مايقال فيها انها نزعة الى الشر الذي تتلظى ناره أبداً ، فاذا خمدت بمرور الزمن هبت عليها رياح تلك النزعة فاشعلتها اشتعالا

ومن أولئك الافراد مرقس سميكة باشا فهو لا يطيب له عيش ولا يهدأ له بال إلا اذا وجه الى المسلمين الاذى بقدر ما يستطيع من حول وحيلة

كان موظفاً بالحكومة فى عنفوان شبابه فخلع ما عليه من ملابس الموظفين وارتدى ملابس المبشرين بل كان أشد نكالا على مرءوسيه المسلمين من أشد المبشرين تعصباً ، ولقد أطبق على هؤلاء الضعفاء بما توافر له من السلطة والنفوذ حتى صاحوا من الالم تلك الصيحة التى اقتلعت الاوتاد وظهر ماتحت الخيام من الاستبداد

وما تكشف أمره إلا عن فضائح « السكة الحديدية » فأقيل من وظيفته الكبرى وأخذ أولياء الامور فى معالجة الجراح الدامية التى أحدثها تعصبه فى تلك المصلحة

مضت السنون يلاحق بعضها بعضا ولكن كير الزمان لم يستطع أن ينق خبث حديد تلك النفس التى طبعت على الشر واطمأنت اليه اطمئنانا

أصدرت الحكومة تقويما لهذا العام قام بنشره قلم نشر مطبوعات الحكومة وطبعته المطبعة الاميرية ووزعته وزارة المالية ، وان تقويما مثل هذا يجب أن يكون فى مأمن ينآي به عن أقلام ذوي الاغراض وبخاصة من لهم سوابق فى أذى المسلمين حتى استحقوا أن يبعدوا عن وظائفها أمثال مرقس سميكة باشا المشهور بتعصبه ضد المسلمين من زمن بعيد

تجاوزناماشاهدناه على غلاف التقويم من رسم الصليب داخل دائرة وقلنا ان الفن قضى بجعل هذه الدائرة حلية وسامنابان ذلك قد يأتى عفواً لكل مبدع فنان

ولما رأينا التقويم محلى بصورة جلالة الملك فؤاد الاول حفزنا ذلك الى الامعان فى المطالعة ولكننا صدمنا صدمة عنيفة عند ما وجدنا فصلا عن الكنائس بقلم مرقس سميكة باشا وخطر لنا انه لا بد أن يكون قصد قصداً سيئاً بالمسلمين كعادته ، واتفاق المسلمين والقبط وتآزرهم فى الشدة والرخاء فى العهد الاخير لا يؤثر فى أمثال الباشا من المتعصبين

ففي الصفحة الحادية والسبعين بعد المائة من التقويم قال فى كلامه على كنائس دير أبى سيفين

« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة »
« بنقوش بارزة تمثل القديسين ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله »
« تعمد فيها سراً » .

ولا جرم ان هذا يقال لزائرى تلك المعاهد من الامريكيين والاوروبيين وقد حاولنا أن نرى ذلك المصدر التاريخي المشتمل على هذه الاكذوبة

الفظيعة على مؤسس دولة الفاطميين الاسلامية فى مصر فلم نجده أشار الى ذلك مطلقا

فالمعمودية هي أساس النصرانية . فاذاً يكون المعز لدين الله الذي انشأ الجامع الازهر قد صار نصرانيا إذ بهرته مناظر تلك الكنيسة وما فيها من النقوش البارزة كما بهرته الاحجبة المطعمة بالعاج المنقوش بنقوش هندسية جميلة يتخللها الصليب ، ولعل الرسم الذي على غلاف التقويم منقول عنه

ولقد أنساه ذلك ماله من بسطة الملك المطل على المحيط الاطلانطي مشتملا على شمال افريقيا : « مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقه » ومصر والشام وما والاهما

ان المعز لدين الله لم يكن أمره بالهين على المسلمين حتي تفترى عليه مثل هـذه الفرية الفظيعة فى كتاب رسمي إذ هو فضلا عن كونه من السلالة الفاطمية الشريفة فانه أكبر عاهل اسلامي ظهر فى القرن الرابع الهجري . وفى نحو منتصف هذا القرن قرع سمعه وهو فى أقصى المغرب ما أمست فيه مصر من الكرب والفتن والغلاء بعد وفاة كافور الاخشيدي حاكمها فسارع الى نجدتها بجيش جرار عقد لواءه للقائد أبى الحسن جوهر الصقلى فاستولى على مصر باسمه ثم سارت جنوده الى الشام فامتلكتها رغم ما كان فيها من الفتن والحروب

وعند ما قدم الى مصر بعد ان استتب له الملك قبل وفاته بأقل من ثلاث سنين كان معه جند عظيم ضاقت به مصر ومال وفير اضطر لوفرته الى أن يحول الدنانير سبائك من الذهب على أمثال حجارة الطاحون ويجعل كل اثنين منها حمل بعير وكان ملكه ممتداً فى البحر الابيض المتوسط يشمل كثيراً من جزائره وعساكره منصورة فى كل مكان سارت اليه

فهل هـذا اذا وصل الى مصر يبهره منظر احدى الـكنائس القبطية الصغيرة فيرتد عن دين الاسلام ويترك القامصة والقساوسة يغطسونه فى ماء المعمودية ليصبح نصرانيا بلا بحث ولا جدال ثم لا يعلم بذلك إلا مرقس سميكة باشا؟

لو كان للقبط يومئذ سلطان يخشاه أو علم يبهر العقول لكان في الامر نظر ، فكيف ولم يكن من ذلك شيء لا كثير ولا قليل ؟

في العهد الذي دالت فيه الدولة الاخشيدية وحلت محلها الدولة الفاطمية وسلطانها ممدود الرواق غربا وشرقا كان القبط في ذل يستحقون معه الرحمة فهل يجيء العاهل الاعظم والخليفة الاكبر رب الجيوش الفائزة والعساكر المنصورة فيخلع نعليه ويمشي حاسر الرأس مطأطئا ليغطسوه في ماء المعمودية ليتبدل المسيحية بالاسلام ـ الله أكبر ـ ! انها الفرية بالغة لا يستطيعها إلا مرقس سميكة باشا ولا يسيغها إلا تعصبه العميق ، ولكن كيف جاز أن تشاركه فى ذلك احدى مصالح الدولة الاسلامية ؟

هذا بلاغ للناس قد بيناه فخرجنا به من تبعة العلم والسكوت ، فعلى رجال الازهر الشريف من طلبة وعلماء أن يتولوا الامر بانفسهم لانهم هم الذين يتفيأون ظلا وارفا مده المعز لدين الله بل هم وحدهم الذين امتلكوا تراثا تركه للمسلمين منذ نحو ألف من السنين . نعم عليهم أن يدافعوا عن عقيدته التى لقى الله عليها ، والمعروف انها العقيدة الاسلامية وما شاد المعز هـذا الجامع إلا لحفظ هـذا الدين القويم ، فعلى الازهريين عامة ومشيخة الازهر خاصة أن يسعوا فى القضاء علي هذه الفرية بابادة ذلك التقويم الذي صدر بعد ان مضي من العام الذي خصص له سبعة أشهر وكان مما لا يضر

أن تبقى الشهور الخمسة من غير أن يكون لها مثل هـذا التقويم الاثيم ،
والآن لقد بلغت. فاللهم اشهد فأنت على كل شيء شهيد «ع»

* * *

لم تكد جريدة الثغر تتداولها الايدي حتى هب الكرام الكاتبون يسلقون هذا المفتري المدعو مرقس سميكة باشا بألسنة حداد وكان أول من استجاب لدعوتي صاحب الصوت العالي شيخ العروبة الاستاذ احمد زكي باشا فبعث الى جريدة الثغر فصلا اثنى فيه عليها وعلى هذا الصغير كاتب هذه السطور واني لاضاعف له الثناء جزاء دفاعه عن ذلك المقام الاسلامي العظيم وبما رد به على ذلك الافاك .



*

وكذلك بعث بنفس المقال الى جريدة الاهرام فنشرت الجريدتان فصله في يوم واحد. واليك نصه :

مقالة احمد زكي باشا الاولى

اسطورة قبطيــة كذابة

أكذوبة مرقس باشا سميكه

على المعز لدين الله الفاطمي

— ١ —

جاء في جريدة الثغر الغـراء الصادرة بالامس مقال قيم عن الاكذوبة التي تحمل وزرها صاحب السعادة مرقس سميكة باشا عضو لجنة الآثار العربية، وزميل مجمع الاثريين بلندن ، ومؤسس المتحف القبطي . فقد زعم سعادته انه يقال أن الخليفة المعز لدين الله مؤسس الازهر الشريف قد تنصر وتناول ماء المعمودية فى كنيسة صغيرة بدير أبى سيفين بمصر القديمة

نشر الباشا هذه الاضلولة الشنيعة فى وثيقة رسمية هي «تقويم الحكومة المصرية» الذي يتولى نشره على جميع المصالح الرسمية « قلم نشر مطبوعات الحكومة المصرية »!!

وهذا التقويم مبثوث فى الجماهير بآلاف وآلاف النسخ

نعم أن صاحب السعادة سميكة مرقس باشا قد احتاط احتياط النعامة فى البيداء، فكتب في هذه الوثيقة الحكومية الرسمية « ويقال أن المعز لدين الله تعمد سراً فى تلك الكنيسة الصغيرة اللطيفة »

فرضى الله عن جريدة الثغر الغراء ورضي الله عن الفاضل المقدام الذي كتب الرد فى تلك الصحيفة الصباحية وان كان بخل علينا باسمه الكريم مكتفيا بحرف (ح)

ورضى الله عن الصديق الغيور الذي تفضـل فأرسل لى بالبريد مساء الامس نسخة من تلك الصحيفة الصباحية وكتب عليها بالقلم الرصاص هاتين العبارتين :

١ — أيصدر هذا التقويم الرسمي وانتم فى مصر ؟

٢ — ما رأى شيخ العروبة فى هذه ؟

وانني فيما يلى من السطور سأتناول البحث مع تأييده بالاسطورة القبطية

المكذوبة التى غررت بصديقى المفضال مرقس باشا سميكة حتى جعلته يجعل خليفة الاسلام نصرانيا بطريق التعميد ، سواء كان ذلك التنصير عمداً أو « عباطة » من الباشا المفضال ، حرس الله مهجته واعاده الى محجة الصواب

— ٢ —

عذراً يا صديقي القديم العزيز ، فالحق فوقي وفوقك. وليس فى وسعي السكوت عن تكذيبك وهدايتك الى الحق بارشادك الى الذي أوقعك فى الضلال، ان كنت أنت وقعت فيه اعتباطا

أنت تعلم ، والناس يعلمون ، أنني في كل يوم اتولى تكذيب النصارى الذين افتروا الكذب على نبي المسلمين بتلفيق كتابات مزورة استخدموها للتغرير بالحكومات الاسلامية حتى جعلوا فريقا كبيراً من المسلمين يكذبون على أنفسهم وعلى نبيهم ، مخدوعين بهؤلاء الافاكين من النصارى المزورين

وأنت تعلم مثلي ان هؤلاء النصارى الخادعين هم من رجال الدين ، وتعرف كما أعرف انهم قد ارتكبوا التزوير على نبي المسلمين لمصلحة دنياوية يريدون بها توفير المال لكنائسهم واديارهم ، وعدم دفع المستحق على املاكهم واطيانهم لخزينة الدولة الاسلامية

أما انت ، وأنت من رجال الدنيا ، فقد جريت على اسلوبهم ونسجت على منوالهم لمصلحة تخيلت أنها تعود الى الدين والمسيحية فى غناء عنها ، والاسلام لاضرر عليه منها !

من أجل ذلك كان وزرك عندي أكبر ، لاسيما وانت من أهل المعرفة الصحيحة ، وعندك علم الحق . وأنت لاتخفيه ، ولكنه شبه عليك فيه فانك ياأخي ، قد انخدعت بما طرق سمعك قديما من تلك الاسطورة القبطية الخرافية ، السخيفة ، الخسيسة . ولطول العهد — ولا اقول لسوء القصد — تبدلت الاسماء في اكرتك ، وانعكست عليك الآية . فخلطت زيداً بعمرو من حيث تدري أولا تدري

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

— ٣ —

ذلك الحق أن تنسب لدينك كل ما تريد من المزايا والمحامد . فذلك أمر نقابله

بالاجلال والاحترام . لأنه صادر عن عقيدة صادقة راسخة فى الفؤاد . على أن هنالك حدوداً ، يجب على من كان مثلك أن يقف عندها وأن لا يتجاوزها

لقد استغفلت أنت الحكومة حتى استدرجتها الى أن تسمح لك بكتابة نبذة عن الكنائس القبطية لادراجها فى التقويم الرسمي الصادر باسم حكومة مصر — ولا يعنيني فى هذا المقام أن تكون اسلامية أو غير اسلامية ، مستقلة أم احتلالية

ولكن صبغة التقويم رسمية . فهو اذن وثيقة حكومية !

حتى لو صدر عن مدينة الفاتيكان برومية .

حتى لو صدر عن كنيسة الفنار بالقسطنطينية .

حتى لو صدر عن كنيسة القيامة بالقدس .

حتى لو صدر عن البطركخانة الكبرى بالدرب الواسع بالقاهرة :

فان شيئا من الحياء ، أو قليلا من الذوق ، أو حسابا للواقع ، أو خوف الحق الذي جاء به المسيح ، كل أولئك كان يحول دون دس هذه الخديعة ، ودون التدليس بمثل هذه الدسيسة

ولكن هل بلغت الفوضى السياسية بحكومة مصر أن تتركك تفتري هذه الفرية الخبيثة ؟

— ٤ —

اعلك تدافع عن نفسك ، ياعزيزي مرقس باشا ، بأن الذي خطته يمناك فى التقويم باسم قلم نشر مطبوعات الحكومة بالمطبعة الاميرية الرسمية ، (في صفحة ١٧١) أثناء كلامك على دير أبي سيفين ، انما هو قولك بالحرف :

« ان هنالك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سراً » اه بنصه وفصه . بل بعجره وبجره ، بل بأكذوبته وضلالته .

هكذا تكون الدسيسة ، والا فلا . .

أأنت تنفث السم وتغشيه بطلاء خلاب كذاب بلفظة « يقال » !

أأنت ترسل الدسيسة تسعي مثل الافعي ، وقد غطيتها بثوب الرياء الشفاف ، أي بكلمة « يقال » !

هذه الاخدوعة ، ياعزيزي مرقس باشا ، هي مفضوحة وفوق المفضوحة . فانك تخيلت أنها تقيك سهام الملام ، فيما لو قام أحد لمحاسبتك عليها ، فتكون فى حل من الكذب ، ونشر الكذب ، وترويج الكذب ، في وثيقة رسمية صادرة باسم الحكومة المصرية ! (وأكرر انه لايهمنا أن تكون الحكومة اسلامية أو ارثوذكسية ، استقلالية أم بروتستانتية)

أنت ظننت انك فتحت لنفسك باب الخلاص من هذا المأزق الحرج ، ياشاطر ولكنك وقعت ، ياشاطر ! وكانت وقعتك غير موفقة ، ياشاطر !

فلو انك استنجدت بابليس وبكل كذاب في العصر القديم ، وفى العصر الحديث ، ماامكنك ان تتخلص من هذه الورطة ، الااذا ادليت انا اليك بحبل النجاة ، يامسكين ! انت تقول في وثيقة رسميه لحكومة مصر : « يقال ان المعز لدين الله تعمد سرا فى كنيسة بدير ابي سفين » ! !

اين قيل هذا ، ياصادق النقل وياصحيح العقل ؟

من ذا الذي قال ذلك قبلك ، ياصاحب الامانة ، ويارب الشرف ؟

لا أحد ، لا أحد ، لا أحد !

بل هنالك واحد ، قال ذلك

وذلك الواحد أنا اعرفه كما تعرفه انت!

ذلك الواحد هو :

سعادة مرقس سميكة باشا ، ولا غيره !

— ٥ —

والآن ارشدك ، يا عزيزي العليم ، الى الاسطورة التى جعلتك ترتكب التحريف والتصحيف ، ولا أقول التخريف والتجديف

والآن آخذ بيدك لاضعها على مربط الفرس ، عساك ترجع بهدايتي الى الحق. وأنا عارف بشجاعتك الادبية التي تحفزك الى المجاهرة بالحق

انت أردت « الحاكم بأمر الله » وانت مخطىء

ويدك كتبت « المعز لدين الله » وهي خاطئة !

افهمت ؟ ام انت تريد البيان !
فاسمع ، وافهم ، ارشدك الله واياي الى الصواب .

— ٦ —

اسطورة قبطية كذابة

حدثنا التاريخ عن هذيانات الحاكم وعن مناقضاته وعن اضطراباته ، بما هو موضع الانكار الباقي والاستنكار المتواصل وحدثنا التاريخ ان اخته الاميرة « ست الملك » قد أرادت انقاذ الامة من شره وتخليص العرش من عبثه وحفظ الملك من عبثه .

من أجل ذلك لجأت الى تدبير المؤامرة والمؤامرة يلزمها المال، فارسلت الى حاكم جزيرة تنيس (المدفونة الآن في بحيرة المنزلة) بأن يحمل المال اليها المجتمع لديه ويعجل بتوجيهه . وقيل انه كان الفي الف دينار والفي الف درهم (أي مليون ومائتي الف جنيه مصري تقريبا) — وذلك من الاموال المربوطة على الاطيان المتجمدة لديه عن مدة ثلاث سنوات فحمل المال اليها واستعانت به على مادبرت (راجع خطط المقريزى ج ا ص ١٨١)

فلما فرغت من أمره ، واستراحت الامةمن عبثه وشرهواستقر الملك فينصابه ، رأى جماعة من الناس انه مظلوم بسبب هذا الاغتيال

وتاريخه معلوم ، واحواله معروفة وكلها عجر وبجر ، قد يتخللهاغروردرر

والعجب العاجب ، بل واعجب العجب فى شأن هذا الرجل أنه كما كان مصدر للتناقض فى حياته ، فقد صار مصدر التناقض أيضا بعد مماته

ذلك لان الاقباط اختلقوا عليه اسطورة سخيفة وزعموا — وهم كاذبون — انه تعمد وتنصر لاعجوبة رآها

وهذه الاسطورة المكذوبة كان الاقباط بها جاهلين وعنها لاهين الى أن جاء يعقوب باشا ارتين فاكتشفها وكشفها وعمل بحثه عنها باللغة الفرنساوية فى سنة ١٨٩٤ ميلادية

وقامت بجانب الاسطورة القبطية اسطورة درزية تحارب مسيح النصارى فجعلت « الحاكم بامره » إلها معبودا للدروز

وتعالى الله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، عما يقول هؤلاء وهؤلاء !

أفهمت يا أخي مصدر التخليط الذي وقع فيه الحصيف الرشيد مرقس باشا سميكة ؟

اختلطت في ذهنه الاسطورة التي تقولوها على « الحاكم بامر الله » فاراد أن يتعلى وان يزيد ، وان يرتفع وان ينبسط ، فنسب هذه الخرافة السمجة المرذولة المستقبحة الى « المعز لدين الله »

والاسطورتان مكذوبتان

وكل قائل بهما كذاب

وليس لصاحبي أن يلتمس الخلاص بقوله انه نقل « ما يقال » وانه استعمل صيغة الابهام وهي « ويقال »

بل الواجب عليه أمام ذمته المسيحية — وانا اعلم انها شريفة طاهرة بريئة — أن يأتينا باحد امرين

أولهما — البرهان المادي على نسبة هذا القول الى أي انسان كان ، أووجوده في أي كتاب كان (ولن يستطيع ولن يستطيع ، ولن يستطيع ، ثلاثا)

وثانيهما — ان يرجع الى الحق في غير مواربة ولا مداجاة ، وان يقول لنا صراحة انه اختلطت عليه الاسطورة المكذوبة التى اختلقها الاقباط السابقون على « الحاكم بامر الله » وانه قد خانته الذاكرة فجعلت يده تكتب بالزور والبهتان اسم « المعز لدين الله »

واجب على سعادة مرقص باشا سميكة أن يبادر الى هذا « الاعتراف » على ملأ الناس وعلى رؤوس الاشهاد ، محافظة على كرامته العلمية وعلى مكانته الشخصية

وبناء على ذلك ادفع له الآن قسطا معجلا من الشكر ، وفي غد اذكر له خلاصة عن الخرافة القبطية الكاذبة المكذوبة . وعما فعله الاستاذوديع حنا الصادق في تاريخه

والله يقول الحق ويهدي الى سواء السبيل

عن دار العروبة　　　　احمد زكى باشا

ونشرت جريدة الاهرام يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٣١ ما يأتي:

رد على صديقي

احمد زكي باشا

اطلعت في صدر جريدة الاهرام الغراء على مقال طويل بعنوانات ضخمة وحروف كبيرة وقد كتب على النمط الذي اختص به صديقي احمد باشا زكي

ولا اروم ان ارد على هذا المقال الا بعبارات موجزة منزهة عن القذع مبرأة من كل ما يجرح احساسا ويؤلم شعوراً أو يخالف قاعدة من قواعد المناظرة التي تواضع عليها الادباء في كل زمان ومكان . فأقول :

أولا : ليس صحيحا ما قاله الباشا وهو أن الرواية التي اعترض عليها لم ترد في كتاب ولم يروها احد قبلي بل الصحيح انها وردت أولا في كتاب وصف الكنائس القبطية الاثرية للدكتور الفرد بطلر جزء أول صفحة ١١٧ طبعة اكسفورد سنة ١٨٨٤ ونص عبارته « اخبرني القسيس — يقصد قسيس كنيسة أبي سيفين — ان السلطان المعز تعمد بها بعد ان اعتنق المسيحية »

والواقع أن الرواية متواترة من مئات السنين ولو كلف صديقي احمد باشا نفسه وذهب الى هذه الكنيسة الاثرية لدله خدامها الى معمودية السلطان المعز

ووردت هذه الرواية عنها في كتاب « الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » لاحد رهبان دير السيدة بليرموس في برية انبا مقاريوس وقد طبع في مطبعة الشمس سنة ١٩٢٤ جزء ٢ صفحة ٢٤٨ وهذا نص عبارته :

« قيل أن المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلي عن كرسي الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين »

ثانياً — ليس صحيحا ما قاله الباشا وهو انى خلطت بين الحاكم بأمر الله والمعز لدين الله بل الصحيح أن أعجوبة جبل المقطم التي قيل انها كانت سبباً في تنصر المعز حدثت في زمن ابرام السرياني الذي رسم بطريركا في سنة ٩٧٥ ميلادية على ماوراء ساويرس اسقف الاشمونين في كتاب « تاريخ البطاركة » وصديقي الباشا يعلم أن التاريخ يوافق عهد خلافة المعز

ثالثاً — ان هذه العبارة رويت فى معرض الاشارة الى أثر قديم فى الكنيسة وهو المعمودية ولولا ذلك لما كان ثمت محل لذكرها وقد نشرت منذ سنتين فى تقويم المطبعة الاميرية وفي كثير من الكتب عشرات السنين عند الآثار القبطية فلم يكن القصد من ذكرها اذن لا تمجيد المسيحية ولا اساءة الاسلام وأحر بالمسيحية والاسلام أن تكون قوتهما وفخرهما لايرفعه مقام معتنقيهما ولا بكثرة عددهم بل بفاعلية مبادئهما فى النفوس

رابعاً — لو كان مراد صديقي احمد باشا زكى من هذه الجملة مجرد النقد التاريخي لاغنى نفسه مؤونة تحرير مقاله الطويل الذي حشاه بما نضح به اناء أدبه وفضله ممن لم اكن انتظره من صديق قديم

على انى لا أحسبه بعد ما يقرأ ردي هذا الهادىء على مقاله الصامت الا موافقي على ان للنقد التاريخي والبحث العلمي طريقة أخرى غير هذه الطريقة هداه الله ووفقه الى خدمة العلم والتاريخ بما نرضاه له ونتمناه

مرقس سميكة



*

مقالة أحمد زكي باشا الثانية

الاسطورة القبطية المكذوبة

كلمة لها ما بعدها

الى صديقي مرقص باشا سميكة والى مؤيديه ومعارضيه

— ١ —

قرأت صباح الأمس في جريدة « السياسة » كلمة لصديقي العلامة الاثري والبحاثة العارف ، والخبير العليم ، صاحب السعادة مرقص باشا سميكة . واذا به لايزال مصراً على قولته ، باقياً على أسطورته . فلم يعترف لنا اعتراف العالم الصادق النزيه بكذب الذين اختلقوا سرية التعميد وكذبوا على جرن المعمودية ، وتخرصوا بوجود القبر المكذوب فى دير الشهيد الجليل أبي السيفين بالفسطاط

وهو يعلم ان كل ذلك مخالف للحقيقة المادية المحسوسة التي لا محل فيها للجدال العقلي ، ولا للحوار النظري ، ولا للمباحكات السوفسطائية .

عجبت من اصراره على قولته ، إذ كنت اترقب من شجاعته الادبية ، ومن كرامته العلمية ، أن يرجع عن هذه الاختلاقات المثلثة ، ليكفيني مؤونة الرد ، وليستحق كل شكر من العلم ومن الحق

لكنه أراد ، أو حاول ، أن يقفل الباب على تلك الدسيسة الخبيثة الخسيسة فيبقى أثرها عالقا بالنفوس ، أو على الاقل عند فريق كريم من المصريين . وهذا الفريق معذور ، اذا كان يرى مثل العلامة سميكة باشا مصراً على هذا القول الفتان المفتون

— ٢ —

وقرأت بعد ذلك مقالات ، بعضها أو واحدة منها فى الانتصار أو شبه الانتصار لسعادته بجريدة مصر (التي بترت عباراتي من باب الاختصار طبعا وأكثر هذه المقالات فى الرد عليه بجريدة « السياسة » و « الاهرام » و « المساء » وغيرهن ،

وقد اعتمد كتابها الافاضل على البراهين العقلية وعلى المؤرخين المسلمين وهو مالا يرضيني في هذا المقام .

— ٣ —

وقرأت صباح الامس أيضا كلمة طيبة في « الاهرام » بقلم الاستاذ الشيخ محمد عرفه . وقد تكفل بازاحة الستار عن مسألة التواتر التي يتدارى خلفها سميكة باشا بغير حق مثل ما تتدراى النعامة باخفاء رأسها في البيداء الظاهرة المكشوفة . وسعادته سيد من يعرف انه بذلك التواتر الموهوم المزعوم يصادم التاريخ الصادق ، صدمة لا يرضاها خصم عاقل ولا صديق جاهل

— ٤ —

والآن اتقدم بالرجاء الى جميع الفضلاء والى أرباب الصحف بنوع خاص أن يتركوا هذا البحث مؤقتا وأن يمتنعوا عن الجولان فيه الى حين ، وأليس الصبح بيعيد

وهذا الرجاء ينصرف بنوع خاص الى المعارضين لسميكة باشا في دعواه أو في اصراره على دعواه أو فيما يحاوله من مداورة ومداراة :

ذلك لان استمرارهم على السير في الطريق التي انساقوا اليها بطبيعة الحال لتنفيذ ما اسموه « اسطورة المعز » أو « تنصر المعز » يجعلهم يخدمون الغرض الذي قد لا يقصده « عمداً » حضرة صاحب السعادة مرقس سميكة باشا عند ايراده هذه الاسطوره السخيفة بلا موجب ولا ضرورة في التقويم الرسمي للحكومة المصرية

فيبقى في الاذهان انه قيل — ان صدقا أو كذبا — بأن المعز قد تنصر وهذا كل مايطلبه أهل التوفيق من ترسيخ هذه الاكذوبه عند العوام في مصر وفي غير مصر

— ٥ —

سبق لي اني طلبت من سعادة مرقص باشا أن يأتيني بدليل (وهو يفهم معنى الدليل) على تلك الخرافة الكذابة التي لم يتورع سعادته عن وضع اسمه فوقها ، أو أن يرجع عنها بصراحة لامداجاة فيها ولا مواربة

فجاوبنى برده الاول (فى اهرام ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ ، ٨ أغسطس سنة ١٩٣١) باسناد هـذه الاسطورة المكذوبة الى أقوال مكذوبة مثلها . فبينا أنا أرجع الى المصدر الاصلي الاول في سنة ٩٧٥ ميلادية ، اذا به هو يستشهد !!!! بكتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » الذي أصدره أحد الرهبان في سنة ١٩٢٤ !!! بعد أن استشهد !!! بالمؤرخ الانكليزي بطلر في كتابه الصادر سنة ١٨٨٤ !!! وقد ترجم أقوله بما لا يوافق الاصل تمام الموافقة ، لا لغرض فى نفس يعقوب ، بل من باب التهاون البسيط !

على انه طلب مني أن يذهب الى تلك الكنيسة الاثرية بدير أبي السيفين « ليدلني خدامها الى معمودية السلطان المعز »

— ٦ —

حينئذ هناك قبر !

حينئذ هناك برهان مادي على صدق الاسطورة !

حينئذ ينبغي لي الانحناء « بمطانوة » (أي باستغفار فى انحناء) نظير ما أبديته من الجحود والانكار أمام هذه الاسطورة التي يؤيدها لي صديقي الباشا المفضال !

من أجل ذلك ذهبت الى الدير مرتين لرؤية هذا النور بعيني ، والتحقيق من هذا الاثر بنفسي . فقد أردت أن اتشبه بالحوارى توما الذي أراد أن يكون ايمانه بقيام المسيح عن مشاهدة وعيان (انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٦ ـ ٢٩) وان اقتدى بسنة أحد الانبياء الذي خاطب الرحمن بقوله « رب ارني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » (قرآن كريم ١ : ٢٦٠)

رأيت من واجب الامانة في الانصاف أن أجيب دعوته ، عساه يتشبه بى في اجابتي الى دعوتي . وسأذكر فى مقال تال خلاصة رحلتي الى الدير الصادق والى القبر المكذوب . ثم اظهر له وللناس جميعاً مكان قبر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، مؤيداً بالبرهان الصادع

— ٧ —

وفي خلال تلك المدة كنت اتردد على المتحف القبطي ومكتبته ، وعلى البطركخانة ، وغيرها من مجامع العلم وخزائن الكتب

وسأتقدم عما قريب الى مرقص باشا والى كل ذي عقل ودين بالبيان الشافى مؤيداً بالحجج المستقاة من نفس الاسطورة ، ومن نفس الذين اختلقوها ومن نفس الذين جسموها ونفخوها وزادوها وضخموها حتى أوصلوها بطريق المغالاة في الكذب الى درجة من الشناعة لا يرضاها انسان في مخه ذرة من العقل . اذ جعلوا من الجثة غير الموجودة قبة من فقاقيع الصابون .

راجعت كل الوثائق واستوعبت جميع الدلائل من المصادر الاصلية الاولية دون أن اعتمد على كاتب مسلم . بل كل حجتي مأخوذة من الاقباط المسيحيين ومن السريان المسيحيين

وانما اضفت السريان الى بحثي ، لأن البطرك الذي نسبوا الى عصره تلك الاسطورة المكذوبة ، كان من السريان لا من المصريين . وقد راجعت كل ما كتبه علماء الافرنج من انكليز وفرنساويين والمان وغيرهم ، فلم اترك باباً فى مصلحة الاسطورة أو ناقضاً لها الا طرقته ، كما تقضي بذلك شريعة الانصاف . لأنني ابغي تصفية الحق من كل شائبة من شوائب الارتياب

— ٨ —

هكذا استوفيت بحثي بعد تمام الاطلاع على كل ما يتعلق بهذه الاسطورة الكاذبة المكذوبة . فرأيتها تهدم نفسها بنفسها ، ويناقش بعضها البعض الآخر فى الرواية الواحدة ، فضلا عن مخالفة هذه الرواية للرواية الثانية ومناقضتهما معا للثالثة ، وهكذا الى ما تضمنته الاسطورة فى لحمتها وفى سدادها من الكذب الصراح على التاريخ الزمانى وعلى التاريخ الانسانى والعمرانى ، مما لا يرتكبه تلميذ متيقظ في مدرسة ثانوية

رأيت هذه الاسطورة وما يتعلق بها (تأييداً وتفنيداً) في الوثائق الآتي بيانها :

١ — تاريخ البطاركة ، بنصه العربى للاسقف ساويرس بن المقفع (مخطوط) محفوظ بالدار البطريركية فى جملة قطع مختلفة ، بعضها جيد جداً . والاسطورة مدسوسة فيه على هذا الرجل الفاضل كما سنبينه بالبرهان المادي في بحث آخر . وهذا التاريخ يتسلسل الى ما بعد وفاة مؤلفه ، لأنه يصل الى الدولة الايوبية . والتكملة بالطبع بقلم انسان آخر بل كتاب كثيرين

٢ — نسخة أخرى بعضها قديم وجيد جداً جداً . وقد رممها سعادة مرقص باشا سميكة في سنة ١٨٩٨ وأ كلها من النسخة السابقة والتاريخ يتسلسل فيها الى غبطة البطريرك يؤانس الحالي بابا الكرازة المرقسية

٣ — تاريخ البطاركة المذكور مترجما الى اللسان اللاتيني ومطبوعا في باريس سنة ١٧١٣ م وينتهي الى سنة ١٧٠٣ م

٤ — الاسطورة المذكورة منقولة عن ذلك التاريخ الى اللغة الفرنساوية بقلم ارتين باشا « فى مجلة مصر » سنة ١٨٩٤ وهى مأخوذة عن نسخة من ذلك التاريخ مخطوطة فى خزانة المرحوم بطرس باشا غالي

٥ — نص تلك الاسطورة عن النسخ المحفوظة بمكتبة باريس الاهلية وقد نشرتها مجلة الشرق المسيحي (بالعربي والفرنساوي) سنة ١٩٠٩ و سنة ١٩١٠ بعناية المستشرق لوروا

٦ — تلخص هـذه الاسطورة تلخيصاً وافيا فى السنكسار القبطي الذي طبعه المرحوم رينيه باسيه المستشرق الفرنساوي بالعربي والفرنساوي فى باريس من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٢٩

٧ — ملخصها الوافي بتاريخ « الكنائس والديارات في القطر المصري وما جاوره » لأبي صالح الارمني النصراني نشره العلامة الفت الانكليزي في اكسفورد سنة ١٨٩٥

٨ — تلخيصها بالايجاز الشديد فى « مختصر البيان في تحقيق الايمان » للعلامة التاريخي الشيخ المسكين أبي المكارم جرجس بن العميد (مطبوع رأيته بالمتحف القبطي)

٩ — تلخيصها بالاختصار الكلي فى كتاب أصول الدين المسيحى » للعلامة المفضال اسحاق بن العسال (نسخة مخطوطة ، بالمتحف القبطى والدار البطريركية)

١٠ — تضخيمها في كتاب « بلوغ المرام فى ترجمة سمعان الخراز والانبا ابرام للاسقف ايسوذورس ، من أبناء عصرنا طبع القاهرة سنة ١٩٢٢

وقد راجعت ما كتبه جهابذة المؤرخين المسيحيين الذين بحثوا فى تاريخ الامة القبطية قصداً أو عرضا ، مثل يحيى بن سعيد الانطاكي ، والسيدة بوتشر

الانكليزية ، وجرجي زيدان اللبناني ، ثم ميخائيل شاروبيم بك ، والشماس منسي القمص ، ويوسف منقريوس ورزق الله منقريوس) وهؤلاء كلهم من أقباط مصر)

— ٩ —

وعما قليل سأكتب ما فيه شفاء للناس ، ورضوان للمسيحيين والمسلمين ، باحقاق الحق ، دون ان أنسى طلب الهداية لصديقي مرقص سميكة باشا ، الذي سنضطره الامانة الارثوذكسية (رغما عنه ويوازع من قلبه وبالهام من ربه) الى الرجوع الى الحق . ومن فمك أدينك يا اسرائيل . ومن كلام أئمتك الاقباط اهديك الى الصواب يا ابن يوحنا جرجس سميكة . فانني مازلت أحسن الظن بك . وأرجو لك التوفيق في تصحيح ما فرط من قلمك . وجل من لا يسهو . وكل آت قريب

عن دار العروبة
احمد زكي باشا



ونشرت جريدة السياسة في يوم ١٠ أغسطس فصلا افتتاحياً قالت فيه

اتهام مؤسس الازهر بالتنصر

فرية الجهل والتعصب على التاريخ الاسلامي

فى تقويم الحكومة الرسمي

وقف القراء على حديث تلك الاسطورة التي وردت في تقويم الحكومة هذا العام عن الخليفة المعز لدين الله ومؤسس الدولة الفاطمية بمصر ، ومنشيء القاهرة ، والجامع الازهر ، ومفادها أن المعز لدين الله قد تعمد في احدى الكنائس القبطية أو بعبارة أخرى قد اعتنق النصرانية . وهي اسطورة أوردها مرقص باشا سميكة في الفصل الذي كتبه فى هذا التقويم عن الكنائس والاديار ، فى كلامه عن كنائس دير أبى سيفين حيث يقول : « ان هناك كنيسة صغيرة بها احجبة من العصر الفاطمى محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سراً » كذلك وقف القراء على ما نشره مرقص باشا سميكة فى « الاهـرام » دفاعا عن هذه الاسطورة ورداً على ما نقدها به احمد زكي باشا . وكنا نود ونحن فى شغل شاغل بما نخوضه من مسائل عامة أصبحت تطغي على كل ما عداها ، أن نترك مثل هذا الجدل لمن هم أكثر منا فراغا ومن توجب عليهم مراكزهم وصفاتهم أن يتقدموا للدفاع عن الاسلام وتاريخه كلما رماه المتعصبون أو الجهلاء بمثل هذه الفرية . ولكن « السياسة » لم تستطع ، وقد كان لها شرف هذه المواقف غير مرة ، أن تقف جامدة ازاء هذه الفرية الخطيرة التي يمليها سوء النية قبل أن يمليها سوء الجهل والتعصب ، والتي يراد بها أن تلوث الى الابد ذكرى امام من أعظم أئمة الاسلام ، وخليفة من اعظم خلفائه تحت ستار التاريخ والرواية ، ولو ان مرقص باشا سميكة كان ينطق عن علم صحيح ، وكان يستند الى أدلة ووثائق جدية لما كان لنا أن نعترض عليه ، لان الأمر عندئذ لا يتعدى البحث التاريخي والجدل العلمي ، والبحث حر ، ونحن أول من يقدس حريته ، لكنه وهو يقدم أسطورته دون سند الا أقوال بعض القسس الجهلاء ، ويصر عليها بما ينم عن الحقد والتعصب الدفين ،

ويدسها في تقويم رسمي تصدره الحكومة المصرية الاسلامية على نفقتها ، فان للامر وجهة أخرى هي التى نريد أن نشير اليها اليوم فى هذه الكلمة

لم نسمع ولم نعرف أن مرقص سميكة باشا كان يوما من أولي العلم والبحث المتين ولم نسمع بالاخص أن له من علمه ما يسمح له أن يؤرخ للمسلمين وان يخوض في مباحث التاريخ الاسلامى . وكل ما عرف عنه أنه من المهتمين بالآثار الكنسية القبطية . وهو وشأنه فى هذا الميدان . ولتكن أساطير الكنائس والاديار القبطية ماشاءت الاسطورة . وليعتقد القسس الاقباط فى الاسلام وتاريخه ماشاءوا ، فالتاريخ قائم يزدري كل الاساطير ويسخر منها ، ولكن متى تقدم الى الميدان رجل مثل سميكة باشا ، يزعم أنه يتكلم بلسان التاريخ والبحث العلمي ، فانه يحق للمسلمين أن يحاسبوه على ما يلصقه بالاسلام وأبطاله من مزاعم ، وان يطالبوه باقامة الحجة العلمية القاطعة حرصا على التاريخ القومي أن يشوهه جهلاء متعصبون كأمثال الباشا يحتمون بثيابهم المدنية ، وهم في الواقع يحملون قلوب المبشرين والقسس ، بل هم أشد حقداً على الاسلام وتاريخه وحضارته ولغته . وليعذرنا مرقص سميكة باشا أن ننعته بالتعصب والجهل . فانه هو الذي قدم هذه الشهادة على نفسه أولا بما أبداه من قصور شنيع في التدليل على صحة الاسطورة التي دسها في تقويم الحكومة ، اذ اكتفى بالاعتماد فى نقلها على ما نقله الاستاذ بتلر في كتاب « كنائس مصر القبطية القديمة » عن خادم احدى كنائس دير أبي سيفين وقد نقل أقواله على سبيل الاسطورة والقصة ، ولكن الباشا يعود فينقلها على سبيل التدليل والاستشهاد ، أو بعبارة أخرى يريد الباشا أن يستند فى زعمه على قول خادم الكنيسة ثم لا يخجل من أن يقول بعد ذلك : « ان الرواية متواترة من مئات السنين ولو كلف صديقي احمد زكى باشا نفسه وذهب الى هذه الكنيسة الاثرية لدله خدامها الى معمودية السلطان المعز » (١) ولم يعتمد فوق ذلك الا على عبارة أخرى في نفس المعنى لقس آخر في كتاب له عن الكنائس ، فكأن الباشا يريد أن يتلقى المسلمون تاريخهم من خدم الكنائس القبطية ، هذا وثانيا فان سميكة باشا يصر رغم هذا

(١) مقال مرقص سميكة باشا في اهرام السبت ٨ الجاري

الهذيان الذي يبديه في التدليل والاستشهاد ، على روايته ، مما ينضح بعد جهله عن تعصبه العميق .

ولن تقف فى دحض اسطورة الجهلاء المتعصبين عند هذا الحد ، بل سنعود غداً أو بعده الى اثبات سخفها واختلاقها بالأدلة والوثائق التاريخية . مكتفين اليوم بايراد هذه الكلمة التي وصف بها الاستاذ بتلر فى مقدمته أولئك الذين يروجون هذه الاساطير أمثال سميكة باشا واضرابه وهى : « والواقع أن قليلا جداً من الاقباط يعرفون شيئاً عن تاريخهم أو رسوم دينهم ، أو يستطيعون تعليل الامور التي يشاهدونها في طقوسهم اليومية ، فاذا سئلوا عن نقطة تتعلق بالطقوس أجابوا عادة بهز الرأس أو بجواب ظاهر الخطأ ينم عن الجهل(١) » غيراننا نحب أن نسائل في نفس الوقت شيخ الازهر وأساتذته عن رأيهم فى هذا التجنى على ذكرى مؤسس الازهر ، وهل يليق بهم أن يلتزموا الصمت حيال هذه الفرية التي يراد بها أن يكون مؤسس الازهر نصرانيا تعمد ودفن فى كنيسة قبطية ، ثم ألا يرون أن العناية بدحض هذه الفرية وأمثالها مما يدس الى تاريخ الاسلام ، اجدى في الدفاع عن الاسلام وتاريخه وحضارته من كثير من مواقفهم المعروفة ؟ ونحب من جهة أخرى أن نسائل حكومة مصر الاسلامية كيف يجوز لها أن تطبع على نفقة الدولة تقويما يحتوي على مثل هذه الفرية فتجعل مما يروجه خدمة الكنائس القبطية رواية متداولة ؟ وهل لو كان ثمة اسطورة كنسية بأن غير المعز من خلفاء الاسلام كأبى بكر أو عمر أو علي قد تنصر ، بل لو نسبت هذه الفرية الى نبي المسلمين (صلعم) ذاته أكان يسمح لامثال سميكة باشا بأن يكتبوها في تقويم الحكومة ، وكانت مع ذلك تفلت من رقابة المكلفين بالاشراف على اصداره ان كان ثمة من يشرف على هذا الاصدار ؟ ومن العبث ان يعتذر بأن هذا التقويم قد سبق ان طبع مرة أو اكثر محتويا لهذه الفرية فان خطأ الذين يوكل اليهم الاشراف على اصداره في اهمال مراجعته يجب الا يتكرر . ولا احتجاج بسوابق الاهمال والخطأ . انا نقدس حرية الرأى والبحث العلمي ولكن خدمة الكنائس والادلاء ليسوا علماء ، وليست أساطيرهم مما يصح أن يكون

(١) كتاب كنائس مصر القبطية القديمة لا لفرد بتلر (المقدمة ص ٩)

مستقي للتاريخ ، والتاريخ الاسلامي بصفة خاصة ، وليس مما يسبغ عليها قيمة الرواية أن ينقلها بعض الجهلاء المتعصبين من غير رجال الدين ، ولو أن سميكة باشا كتب ما كتب فى كتاب خاص لم يطبعه الطابع الرسمي ، ولو لم تكن الحكومة هى التي نشرت له هذه الفرية في تقويمها ، لما عنينا به اكثر من عنايتنا بمبشر حقود متعصب ، ولهذا رأينا من واجبنا أن نلفت نظر الحكومة الى خطورة هذا التهجم على التاريخ الاسلامي ، وان ندعو شيخ الازهر ورجاله ، الى الدفاع عن ذكرى مؤسس الازهر من أن تلحق بها هذه الوصمة الخالدة ، معولين مع ذلك على أن نعود الى دحض هذه الاسطورة وتبيان ما يطبعها من دجل وتعصب وجهل سحيق .

*

ونشرت جريدة السياسة يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٣١ مقالة بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان هذا نصها

اسطورة تنصر المعز لدين الله

جناية على التاريخ والحقيقة

وجه مرقص باشا سميكة فى الفصل الذي كتبه عن الكنائس والاديار القبطية في تقويم الحكومة لهذا العام، تهمة خطيرة الى خليفة من أعظم خلفاء الاسلام، هو المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر، ومنشىء القاهرة عروس الامصار الاسلامية، والجامع الازهر معقل التفكير الاسلامي ومنارته في العصور الوسطى. فذكر فى كلامه عن الآثار القبطية فى كنائس دير أبى سيفين ما يأتي:

« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ومعمودية يقال ان المعز لدين الله تعمد فيها سراً » (تقويم الحكومة ص ١٧١)

وقد اعتمد سميكة باشا فى اثبات هذه الرواية على نصين أوردهما في مقال له نشر في الاهرام فى ٨ أغسطس الجاري رداً على ما كتبه زكي باشا فى اهرام ٨ أغسطس في هذا الموضوع وهما:

الاول — عبارة وردت في كتاب الاستاذ الفردبتلر عن كنائس مصر القبطية القديمة (THE ANCIENT - COPTIC CHURCHES OF EGYPT) هذه ترجمتها: « وفي هذه المعمودية طبقاً لاسطورة القسيس (أعني قسيس الكنيسة) عمد السلطان المعز حينما ارتد الى النصرانية » (ج ١ ص ١١٧)

والثاني — عبارة وردت فى كتاب قسيس قبطي عن تاريخ الكنيسة اسمه « الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » هذا نصها: « قيل ان المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن فى كنيسة أبى سيفين ».

ويضيف سميكة باشا الى ذلك، ان هذه الرواية متواترة منذ مئات السنين، وفي وسع المعترضين أن يذهبوا الى تلك الكنيسة الاثرية فيدلهم خدامها على هذه المعمودية التي تسمى بمعمودية السلطان المعز.

* * *

هذه هي النصوص التي يعتمد عليها سميكة باشا فى تأييد الاسطورة القبطية القائلة بتنصير المعز لدين الله وهى نصوص لا تستحق أن توسم بالادلة والمراجع ، وليست لها أية قيمة في الاثبات غير اننا مع ذلك تتناولها بشيء من الرد لاعلى انها أدلة مؤيدة يجب نقضها ، بل على أنها بذاتهـا قرائن على سخف الرواية ومبلغها من الركاكة والسقم .

فأما النص الأول وهو عبارة الاستاذ بتلر ، فقد أوردها نقلا عما سمعه من قسيس كنيسة القديس جبريل احدى كنائس دير أبي سيفين ، ولم يوردها من عنده. واحتاطفيذكرهافوصفها بأنها اسطورةأوقصةخارقة(LEGEND) ولكن سميكة باشا اقتصر على نقلها محرفة للاستشهاد ، مع ان الاستاذ بتلر يعودفيورد « الاسطورة » كلها فى مكان آخر طبقا لما سمعها من قسيس الكنيسة أثناء زيارته لها وهذه هي :

« سمع الخليفة المعز ، مؤسس القاهرة ، كثيراً عن حياة النصارى الروحية ، وعن اخلاصهم لنبيهم ، وعن الامور العجيبة التى يحتويها كتابهم المقدس فأرسل الى كبير النصارى والى كبير شيوخ قومه ، وأمر باجراء تلاوة رسمية أولا لانجيل المسيح ثم للقرآن ، وبعد ان سمع كلا منهما بعناية شديدة قال بمنتهى العزم « محمد مفيش » اي ان محمداً لا شيء أولا وجود له ، وأمر بهدم المسجد الواقع أمام كنيسة الانبا شنوده ، وأن تبنى مكانه أو توسع كنيسة أبي سيفين . ولا زالت بقايا هذا المسجد موجودة بين الكنيستين . وزاد القسيس على ذلك ، ان الخليفة المعز تنصر ، وعمد بعد ذلك فى مكان التعميد الواقع بجوار كنيسة القديس يوحنا (مارجورج) (ج ١ ص ١٢٦)

والاستاذ بتلر ينقل هذه القصة كاسطورة (LEG ND) لها علاقة بتاريخ بنيان هذه الكنيسة لاعلى انها واقعة تاريخية لهـا أية قيمة . وهي تنطق بذاتهـا بسخف ما ورد فيها واستحالته ، ومن السخرية أن تقدم في معرض البحث التاريخي والاثبات العلمي ، ولعل سميكة باشا نفسه شعر بسخفها فآثر ألا يوردها واكتفى باقتضاب النص الذي نقله .

وأما النص الثاني الذي ورد في كتاب الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة) فلا يخرج أيضا عن كونه خرافة كنسية مما يتناقله القسس . وليست قيمته في

الاثبات أكثر من النص الاول . غير انه يقدم الاسطورة بشكل آخر ويقرنها بوقائع معينة ، فيقول ان المعز « بعد حادثة المقطم » نزل عن الخلافة لابنه العزيز « وتنصر ولبس زى الرهبان ، « وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين » ويصح أن نشير الى حادثة المقطم هذه فقد أوردها بتلر أيضا في بدء كلامه عن تاريخ كنيسة أبي سيفين ووصفها كذلك بأنها اسطورة خارقة (LEGEND) وخلاصتها « ان الخليفة سمع بانه قد ورد فى انجيل النصارى ان الانسان اذا كان مؤمناً فانه يستطيع أن ينقل الجبل بكلمة فأرسل الى افرايم (ابرام) البطريق وسأله عما اذا كانت هذه القصة العجيبة حقيقية فأجابه بالايجاب فعندئذ قال له « قم بهذا الامر أمام عيني والاسحقت اسم النصرانية ذاته » فذعر الرهبان وعكفوا على الصلاة في كنيسة المعلقة ، وفى اليوم الثالث رأى البطريق العذراء في الحلم تشجعه ، فقصد فى موكب كبير من النصارى وهم يحملون الاناجيل والصلبان الى المكان المعين حيث كان الخليفة وحاشيته ، وبعد ان صلى البطريق رفعت الاناجيل والصلبان على دخان البخور ، ودعوا جميعاً فاهتز الجبل وانتقل ! وعندئذ وعد المعز « ابرام » بأن يمنحه كل ما طلب وأذن له فى بناء كنيسة أبي سيفين (ج ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٧)

ويستنتج الاستاذ بتلر من مقارنة هذه الاساطير بأن الكنيسة « قد بنيت أيام المعز حوالي سنة ٩٨٠ » وهو استنتاج يؤيده سميكة باشا بما نقله فى مقاله من أن ابرام السرياني المشار اليه رسم بطريقا في سنة ٩٧٥ ميلادية على ما رواه ساويرس اسقف الاشمونين في كتاب « تاريخ البطاركة » . ولا يراد هذا التاريخ أهمية سنعود اليها

* * *

اذا يكون الزعم بتنصير المعز لدين الله قائما على اساطير كنسية فقط لاسند لها من التاريخ وفي ذلك وحده ما يكفينا مؤونة دحضها لأنها منهارة من تلقاء نفسها . ولكن سنرى أيضا أنها تناقض الحقائق التاريخية الثابتة .

دخلت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي مصر فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٧ يوليه سنة ٩٦٩ م) . ووضعت خطط القاهرة فى نفس الليلة بأمر الخليفة المعز كما اختط الجامع الازهر بعد ذلك بأشهر (جمادى الاولى سنة ٣٥٩) ولكن

المعز لم يقدم الى مصر الا بعد ذلك بأربعة أعوام ، بعد ان أنشئت المدينة الجديدة واعدت لنزوله واستتب النظام وتوطد الملك الجديد ، فدخل مصر بأهله وأمواله في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (منتصف يونية سنة ٩٧٣ م) ، ولم يطل ملكه بها أكثر من عامين ونصف عام اذ توفى في ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٦٥ (٢٠ ديسمبر سنة ٩٧٥ م)

ولم يكن فتح مصر غنما سياسيا لبني عبيد (الفاطميين) فقط بل كان غنما للدعوة الشيعية التي لبث بنو العباس يطاردونها زهاء قرنين ، والتي رفع لواءها عبيد الله المهدي جد المعز الاكبر وبدأت ظفرها السياسي بافتتاح المغرب . فكانت مسألة الامامة ما تزال سند الفاطميين ، وكان ملكهم الجديد بمصر يصطبغ بنفس الصبغة الدينية العميقة التى حملت لواءهم الى المغرب ، وكانت فورة القرامطة التي امتدت يومئذ نحو الشام تهدد دعوتهم وملكهم في مصر . فكان عليهم أن يؤيدوا هذه الدعوة وأن يثبتوا قدسيتها ونقاءها فيثبتوا بذلك في وجه المنكرين لنسبتهم وشرعية دعوتهم ، انهم كما يدعون ، سلالة فاطمة ابنة الرسول ، (صلعم) وولد علي . ولهذا نرى المعز لدين الله حين مقدمه الاسكندرية يقول لوفد المصريين الذي ذهب للقائه « انه لم يسر لازدياد فى ملك ولا رجال ولاسار الا رغبة فى الجهاد ونصرة للمسلمين » (١) ونراه في مواكبه وشعائره الدينية حريصاً على مظاهر الامامة ، يبدو اماماً دينياً أكثر منه ملكا سياسياً . واليك بعض هذه المظاهر شاهدها وسجلها الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصري ، صديق المعز ، ومؤرخ سيرته :

(١) قال ، لما وصل المعز الى قصره خر ساجداً ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل (٢)

(٢) في يوم عرفه نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على ايوان قصره وسعتها اثنا عشر شبرا فى اثنى عشر شبرا وأرضها ديباج أحمر .. وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفى دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر (٢)

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي ص ٨٨

(٢) المقريزي عن ابن زولاق — في اتعاظ الحنفاء ص ٩٠

(٣) ركب المعز يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة « وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبته بخضوع وخشوع ..» (١)

(٤) « غدا المعز للصلاة في عيد النحر بعسا كره وصلي كما ذكر في صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود » (٢)

بل كانت الامامة النبوية صفة رسمية للمعز لدين الله ، دعي له بها في أول جمعة رسمية اقيمت سنة ٣٥٨ هـ وفي الجامع العتيق (جامع عمرو) وجاء في خطبتها : « اللهم صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل العزة المهدية عبد الله (الامام) معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه الطاهرين واسلافه الائمة الراشدين . . »(٣)

وبلغ من قوة هذه المظاهر ان كان المعز يوسم كالانبياء بقولهم « عليه السلام » « و صلوات الله عليه »(٤)

و كان نقش خاتم المعز « لتوحيد الاآله الصمد دعا الامام معد لتوحيد الاآله العظيم دعا الامام ابو تميم »

أوردنا هذه الوقائع لنبين كيف كان المعز لدين الله حريصاً كل الحرص على صفته الدينية ، وعلى مظاهر الامامة ، وكيف كانت الصيغة الدينية العميقة تطبع سياسة الدولة الفاطميه فى مفتتح عهدها بمصر ، خصوصا وان هذه الصبغة، لم تكن بمنجاة من المطاعن ! وكان هذا الطعن يتناول صحة نسب العبيدين الى آل البيت وشرعية امامتهم وتعاليمهم . وقد اتخذ قبل بعيد صبغة سياسية رسمية . ففى سنة ٤٠٢ هـ أصدر بلاط بغداد فى عهد الخليفة القادر بالله محضراً رسمياً موقعاً عليه من كبار الفقهاء ، والقضاة وبعض الشيعة يتضمن الطعن فى نسب الفاطميين خلفاء مصر ، وأنهم ليسوا

---

(١) المقريزي عن ابن زولاق — فى الخطط — (ج ١ ص ٣٨٥)

(٢) المقريزي — اتعاظ الخلفاء ص ٩٢

(٣) المقريزي — اتعاظ الخلفاء ص ٩٤

(٤) المقريزي عن ابن زولاق — الخطط ج ١ ص ٤٧ — وابن زولاق نفسه في كتاب أخبار سيبويه المصري (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ)

من آل البيت بل هم ديصانية ينتسبون الى ميمون بن ديصان ، بل انهم كفارزنادقة وفساق ملاحدة أباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسبوا الانبياء وادعوا الربوبية (١) وفى سنة ٤٤٤ ﻫ ، كتب ببغداد محضر آخر يتضمن نفس المطاعن ، ويزيد فيه ان الفاطميين يرجعون الى أصل يهودي أو مجوسى (٢)

ومسألة الطعن في نسب الفاطميين هذه والطعن في شرعية امامتهم وتعاليمهم مشهورة فى التاريخ الاسلامي (٣) وهي ليست موضوعنا ، ولكن لم يقل أحد من خصومهم قط ان المعز لدين الله تعمد او تنصر ، ولو صحت هذه الاسطورة ، بل لو جرت فقط مجرى الاشاعة أو التهمة ، لما غفل عنها العباسيون فقط ، ولا ثبتوها فى مطاعنهم الرسميه ، وروجها مؤرخوهم ، ولذكرها أكثر من مؤرخ مسلم ، ولكن اجماع الرواية الاسلاميه على تجاهلها

— ٢ —

ننتقل بعد ذلك الى منطق الوقائع المادية :

ان الاسطورة القبطية لا تحدثنا متي تعمد المعز وتنصر . ولكن قس كتاب الخريده يروي انه أي المعز بعد حادثة جبل المقطم ، تخلي عن الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان »

قد رأينا أن حادثه المقطم هذه ، قد وقعت على قول الاسطورة القبطية ، وكما يقرر الاسقف ساويرس في كتاب » تاريخ البطاركة » على يد البطريق ابرام (افرايم) الذي رسم بطريقا فى سنة ٩٢٥ م (٤) ، وانه ترتب على وقوعها ان أذن

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٤٢ — وابو الفدا ج ٢ ص ١٤٣

(٢) ابن الانير ج ٨ ص ٥٠٢

(٣) يراجع ذلك بالاخص ابن الاثير ج ٨ ص ٩ وخطط المقريزي ج ١ ص ٣٤٨

(٤) يراجع كتاب الاستاذ بتلر ج ١ ص ١٢٥ ومقال سميكة باشا المنشور فى اهرام ٨ اغسطس الجاري .

المعز للبطريق بيناء كنيسة أبي سيفين ، فبنيت « حوالي سنة ٩٨٠ في عهد المعز »(١) ومعني ذلك ان معجزة الجبل لا بد ان تكون قد وقعت قبل ذلك بقليل أعني نحو سنة ٩٧٩ أو سنة ٩٧٨ على الا كثر . فاذا علمنا نحن أن المعز لدين الله توفي في ديسمبر سنة ٩٧٥ (ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ)، تحققنا بطريقة مادية حاسمة كذب الاسطورة الكنسية لان المعز توفى قبل حدوث المعجزة المزعومة بثلاثة أعوام أو أربعة على الاقل .

والحقيقة التاريخية هي أن المعز لدين الله أذن للبطريق ابرام بتعمير كنيسة القديسة مرقوريوس والمعلقة بالفسطاط . لا ايمانا بأية معجزة قبطية ، ولكن جريا على سياسة التسامح التي اتخذها ازاء رعاياه غير المسلمين . فقد كان يحسن معاملة النصاري واليهود ، وكثيراً ما كان ساويرس (سيفروس) اسقف الاشمونين ، يجادل الفقهاء المسلمين في مسائل الدين (٣) وقد اتخذ المعز وزيراً يهودياً هو يعقوب ابن كلس وأولاه نفوذاً عظيما . وقد كان التسامح الديني سياسة مقررة للاسلام . في معظم الدول الاسلامية . وقد كان تسامح المعز، تسامح القادر المستنير . ولكن الاساطير الكنسية شاءت أن تجعل منه محاباة مقصودة . وزيغا من الخليفة القادر الى تعاليم النصرانية . فاذا لقيت الكنيسة خليفة عسوفا متعصبا كالحاكم بأمر الله يذلها ويسحق عزتها . خرست أساطيرها وا كتفت بأن ترميه بالوحشية والتعصب .

تقول الاسطورة الكنسية أن المعز بعد ان نزل عن الخلافة لابنه العزيز تنصر وترهب ودفن بكنيسة أبي سيفين . فمتي وقع ذلك ؟ ان المعز لم ينزل عن الخلافة أثناء حياته قط ، بل توفى وهو خليفة ، وكان ابنه العزيز ولي عهده حتى وفاته وكانت وفاته فى ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٦٥ (ديسمبر سنة ٩٧٥ م)، بالقصر الفاطمي بالقاهرة المعزية بعد مرض طال عدة أسابيع ، فبويع ولده بالخلافة فى نفس

---

(١) الاستاذ بتلر ج ١ ص ١٢٧

(3) WUSTEN FELD: GESCHICHTE DER FATIMIDEN P. 127

اليوم(١) ودفن المعز لدين الله في نفس القصر الفاطمي بتربة الزعفران أو التربة المعزية التي كانت قطعة من القصر الكبير والتي اودعها المعز يوم قدومه الى مصر توابيت أجداده (٢) أما زعم الاسطورة الدينية أن المعز قد دفن بدير أبي سيفين فانه ينقضها من أساسها ، اذ من ذا الذي تولى دفنه فيها ؟ أيكون الذى دفنه بالكنيسة ولده العزيز خليفة المسلمين من بعده ؟ أم دفنه القبط فيها بالقوة القاهرة ؟. وان كان المعز قد تنصر سراً فكيف يعقل أن يترهب جهراً وان يلتجىء الى كنيسة قبطية على مقربة من عاصمته ، وعلى مرأى ومسمع من أسرته وقادته وجنده بل على مرأى ومسمع من العالم الاسلامي الذي يدعى امامته ؟ الحق ان الاسطورة القبطية تنحط هنا الى حضيض من السخف والتناقص يخلق بالرثاء بعد السخرية والاحتقار .

***

وبعد فقد رأينا أن المعز قدم الى مصر من افريقية فى سنة ٣٦٢ (يونيه سنة ٩٧٣) وان خلافته لم تطل أكثر من عامين ونصف عام اذ توفي فى ربيع الثاني سنة ٣٦٥ . وكانت فورة القرامطة تهدد ملكه الجديد فى مصر ودمشق . وكان القرامطة قد زحفوا على مصر بالفعل فى أوائل سنة ٣٦١ بقيادة زعيمهم الحسن الاعصم ونشبت بينهم وبين جيوش المعز بقيادة جوهر الصقلي معارك هائلة على مقربة من الخندق انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشأم . ولكنهم اجتمعوا ثانية وقصدوا دمشق وفيها ابن فلاح من قبل المعز ، فافتتحوها واستولوا عليها ، ثم زحفوا ثانية على مصر بقيادة الحسن الاعصم أيضا ، فلقيتهم جيوش المعز على مقربة من بلبيس ، وهزمتهم وأمعنت فيهم قتلا . وذلك فى أواخر سنة ٣٦٣ هـ . وكتب المعز الى زعيم القرامطة كتابا طويلا يدعوه فيه الى الطاعة والهداية ، ويشرح فيه

---

(١) هذه هي رواية المقريزي الخطط ٢ ص ٢٨٤ ورواية ابن تغري بردى (النجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٣٦٥). — ولكن ثمة رواية أخرى تقول ان العزيز كتم موت أبيه حتي عيد النحر (ابن خلدون . ص ٥١ وابن الاثير ٨ ص ٢٢٠ وابو الفدا ٢ ص ١١٦) غير أن المستشرق فستنفلد يستبعد هذه الرواية

(٢) خطط المقريزى ح ١ ص ٤٠٧

الدعوة الفاطمية وأصولها ، وهي وثيقة هامة تدل عباراتها وروحها على مبلغ حرص المعز على التمسك برسوم الامامة ، وأصول الدين . وهذا مستهلها .

« من عبد الله ووليه وخيرته وصفية معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ونجل على افضل الوصيين الى الحسن ابن احمد ... بسم الله الرحمن الرحيم رسوم النطقا ومذاهب الائمة والانبيا ومسالك الرسل والاوصيا السالف والآنف . منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا . . . الخ » والرسالة تفيض بآيات التوحيد ومبادئه والتمسك بالقرآن واحكامه، وتمجيد النبي (صلعم) وسنته (١) وهي بذاتها وثيقة قاطعة ببراءة المعز مما تريد ان تصمه به الاسطورة الكنسية .

وكان المعز في تلك الآونة ينتابه المرض من آن لآخر ، وهو المرض الذي حمله الى القبر بعد ذلك . ولكنه مع ذلك كان دائم الاهبة لمحاربة القرامطة . وكان يرقب حوادث الشام ويتوق الى استرداد دمشق . وكانت الجيوش البيزنطية قد عاثت أيضاً في شمال الشام ، ، فأرسل المعز جيوشه في جمادى الثانية سنة ٣٦٤ ﻫ فقاتلت الروم على مقربة من طرابلس وهزمتهم (في شعبان) ، ولكنهم عادوا فهزموا الفاطميين وتحالفوا مع أفتكين المتغلب على دمشق . فسار اليهم عندئذ ريان مولى المعز ومزق شملهم ، وفرح المعز لذلك أيما فرح ، واعتزم أن يشهر الحرب على افتكين بشدة . ولكن المرض داهمه في أوائل سنة ٣٦٥ . وتلقى آخر مظاهر ظفره في الحرم حيث علم من الحاج القادمين من مكة ان الدعوة الفاطمية قد اعتنقت في الحجاز ، ودعي له على منابرها (٢) ثم عاجله الموت كما قدمنا ، في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ .

وهكذا أنفق المعز عهده القصير بمصر في حروب ومشاغل مستمرة ، وبالاخص في الدفاع عن الدعوة الفاطمية الفتية ، وتوطيد دعائمها ، فكيف أتيح له مع ذلك أن يتفرغ لمثل ما ترميه به الاسطورة الكنسية . من هذيان وسخف ؟ وأني ومتى

---

(١) يراجع نص هذه الوثيقة بأكمله في المقريزي — اتعاظ الحنفاء — ص ١٣٤ وما بعدها

2 WUSTENFELD. GESCH DER FATIMIDEN

أتيح له أن يعجب بالتعاليم النصرانية وان يتذوقها ثم ينتهي الى التنصر والترهب والاقامة في وكر من أوكار القساوسة ؟ وكيف يعقل ان المعز وهو يشتغل بتوطيد أمامته ودعوته ؟ يضربها بنفسه الضربة القاضية ويقيم الدليل بردته على كذبها ونفاقها ؟ لقد كان للمعز ، على الاقل من بواعث الحكمة والسياسة القاهرة ، ان لم يكن من البواعث الروحية ، ما يجعله أشد الناس استمساكا بامامته ودعوته واسلامه وقد اجمع المؤرخون ، على أن المعز كان أميراً وافر العقل والحكمة ، وافر العزة والشهامة ، مستنير السياسة بعيد النظر ، فمن المستحيل عقلا أن يقدم أمير هذه صفاته على التأثر بدجل القساوسة ، والانغماس فى حمأة الاساطير الكنسية ، وكيف يقدم منشىء الازهر فى فتوته على الارتداد فى كهولته ؟ هذا منطق العقل والعاطفة نضيفه الى منطق الحوادث والتاريخ الحق .

وأخيراً ، أيرى سميكة باشا أن ترديد هذه الاسطورة على ألسنة القسس وخدمة الكنيسة دليل يصح أن يطرح في ميدان البحث ؟؟ فمتى كان خدم الكنائس مؤرخين يرجع اليهم ؟ ومتى كانوا بالاخص مؤرخين للاسلام والمسلمين ؟ على أننا نذكر بهذه المناسبة ان اساطير هؤلاء القسس قد زعزعت الايمان في كثير من مواقف التاريخ المسيحي ذاته . ويكفي أنها اسبلت حجابا كثيفا من الريب على تاريخ قبر المسيح ، وجعلت منه أسطورة كنسية وانتهى البحث ببعض أقطاب المؤرخين النصارى مثل جورج فنلى الى انكار وجود هذا القبر الذي أنشىء بعد وفاة صاحبه بنحو مائتي عام ، ليكون مبعثاً لاساطير القسس ، وأضحى « القبر المقدس » رمزاً لا حقيقة . على ان القسس لا زالوا الى اليوم يعينون لك فى كنيسة القيامة ببيت المقدس وكنيسة بيت لحم ، مواضع بعينها شهدها المسيح صبياً ونبياً وآثاراً ارتبطت بتاريخه أو بصلبه . على انك لن تجد مؤرخاً بمعنى الكلمة بل فرداً عاديا سليم التفكير يقف ذرة عند شيء من هذه الاساطير رغم ما يراد أن يسبغ عليها من لون الرسمية والقدسية .

واعتقادنا ان سميكة باشا ، وقد انحدر في بحثه ان الاستشهاد باقوال خدم الكنائس ، يشعر اليوم بكل ما يشعر به مقدم هذا الدليل من خجل . على أن

الاستاذ بتلر ، وقد أصغى الى أساطير أولئك القسس في الكنائس القبطية التي زارها وخصها بمؤلفه قد أصدر حكمة فى مقدمة كتابه على قيمة هذه الاساطير وقيمة رواتها ، في تلك الكلمة القوية .

« والواقع ان قليلا جداً من الاقباط يعرفون شيئاً عن تاريخهم أو رسوم دينهم ، أو يستطيعون تعليل الامور التي يشاهدونها فى طقوسهم اليومية ، فاذا سئلوا عن نقطة تتعلق بالطقوس أجابوا عادة بهز الرأس أو بجواب ظاهر الخطأ ينم عن الجهل (١) »

محمد عبد الله عنان

(١) الاستاذ بتلر في المقدمة (ص ٩)



فى يوم ١٥ أغسطس سنة ٩٣١ نشرت جريدة وادى النيل التى تصدر بالاسكندرية الكلمة الآتية :

حول اسطورة المعز لدين الله

سماحة الاسلام والاقباط

قرأت ما نشر بصحيفتي الاهرام والسياسة حول اسطورة الكنيسة القبطية عن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى التي نشرها سميكة باشا بتقويم الحكومة المصرية

واني لأعلم ممن وسعهم عطف الدين الاسلامى بسعته فى قوله تعالى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » أعلم أنهم كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نصارى حقاً بهذا المعنى الذي وصفه الذكر الحكيم ، ومنهم نصارى نجران ومنهم اقباط مصر في بدء الفتح الاسلامي أيام كان المقوقس ينصر عمرو بن العاص على الرومان فرحا بدخول المسلمين مصر واجلاء الرومان عنها ، وأيام أسلم من الاقباط بضعة ملايين لما حكم عمر على ابن عمرو بن العاص أمير مصر أن يلطمه القبطي فى يوم الحج الاكبر أمام وجوه المسلمين ، كل ذلك أعلمه ولكننى الآن أنكر كل الانكار أن على وجه الارض من يؤمن بعيسى عليه الصلاة والسلام عبد الله ورسوله وروحه الذي جعل الله الحمل به ووضعه وما أظهره على يده معجزة اعجز بها أطباء عصره وعلماءه، وأين هو من يؤمن بعيسى ممن يزعمون النصرانية في الشرق والغرب ؟

أنا لست أنكر على سواد النصاري الذين هم إمعة بالنسبة لقادتهم من القساوسة الذين يقودونهم بالاساطير ليتمكنوا من السيطرة على العامة منهم . ولكنني لست أعلم لتلك السخائم في قلوب أمثال سميكة باشا سببا يمت الى حقيقة دينية أو حق أثبته العقل اللهم إلا هوى يميل بالقلوب بحسب القوة المتسلطة والاحداث الزمنية شاهد لي . فان نابليون لما دخل مصر وأظهر الاسلام كان معه قائد قبطي يدله على

مواضع الضعف من الامة . وكان هـذا القبطي يعلم ان نابليون انما أظهر الاسلام ليكيد أمة تجهل ان على وجه الارض شياطين فى هيا كل أناسي وصدق الله العظيم حيث يقول « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »

ولما دخل الانكليز بلاد مصر . وكنت طالباً بالازهر أظهر بعض الاقباط شماتة وضيعة بالمسلمين وكان البطريرك إذ ذاك الانبا كيرلس وكان رجلا يعلم ان الأمم باقية والحكومات فانية فطلب اليه أمثال سميكة باشا في زمان « بارنج كرومر » أن يطلب الى الانكليز حماية الاقلية القبطية فأبي عليهم وهددهم بالحرمان والقوم لادين لهم . فسعوا حتى أسقطوه من البطريركية وطردوه الى دير حقير . فدعتنا الغيرة يومها لمكانة احترمها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن بعده من الخلفاء الى زمامنا . فقمنا جماعة من طلبة الازهر واتحد بنا طلبة المدارس العليا وتوجهنا في مظاهرة الى سراي الخديوي السابق عباس باشا والي وزير الداخلية حيث كان المرحوم احمد باشا رياض رئيساً للحكومة ونشرنا المقالات الطوال على صفحات « المؤيد » وغيرها احتجاجا على نفى الرجل حتى اضطرت الحكومة أخيراً الى اعادته

إذن فنحن لا نعجب من قوم دعاهم الهوى تزلفا للقوة أن يؤذوا رجلا بيده حرمانهم من الملكوت على اعتقادهم . فيطردوه شر طردة الى دير مظلم وكيف لا والهوى أخو العمى ولولا ان الحكومة واثقة بمثل سميكة باشا لقلت غير هياب ان الرجل يعلم انه يرضي الحكومة بهذا العمل تقربا لاصحاب القوة فى مصر الذين هم فى حاجة الى عطف اربعمائة مليون مسلم في ظرف كهذا الظرف وبديهي ان أصحاب السلطة في الشرق الآن يسرهم أن يتكئوا على رجال من الشرق يؤلفون بهم الامم

وقد يظن جاهل بحقائق النفوس ان سميكة باشا وأمثال الذين ينفرون المسلمين من الانكليز انما ينشرون مثل هذه الاساطير خدمة للشرق ليثيروا ثائرة الشرقيين من المسلمين والنصارى والارثوذكس والكاثوليك ضد دعوة البروتسنتية التي يرتكز عليها المستعمرون فى استعباد الامم فيحكم أن سميكة باشا بعمله هـذا يفتح ابواب الفتن على الانكليز ولا يظن هذا الاغبي احمق والحقيقة انه قد يغري المستعمرين بالمسلمين ويفتح باب فتنة يطير بها دعاة النصرانية بين العالم الاسلامى

ليحدعوا السذج وجهلوا أن أصغر مسلم بعد قوله لاإله الله محمد عبد الله ورسوله يمقت كل المقت تلك الخزعبلات

على ان الشرقيين يعلمون حق العلم وخصوصاً غير المسلمين ان الحياة الطيبة لا تكون الا اصلاح ذات البين بين المختلفين في الدين . وقد مضى على الشرقيين بضعة عشر قرنا وهم على وفاق تام يتعاونون على البر والتقوى وعلى الرخاء والبأساء المسلم فى مسجده والنصرانى فى كنيسته وقاتل الله الاطماع والجهل بالمستقبل

وانى لا اعتقد ان الطمع في الزلفى عند المتسلطين هو الذي حدا بأنصار دعاة النصرانية الذين هم فى طلائع الجيوش الظالمة أن يقف خطباؤهم على المنابر بالامس يؤذوننا فيمن نفديه بالارواح والاموال والاولاد . ثم يقوم اليوم بعدهم رجل يؤذينا بنشر كتاب باسم الحكومة المصرية المسلمة يقول فيه ان خليفة من ملوك مصر تنصر غير هياب من حجة التاريخ ولا من حكومة هو أحد موظفيها وعلى رأسها رجل أقل ما فيه انه مسلم يغار لدينه ، ولا من أمة احسنت الى النصارى فى مصر كل الاحسان فجعلت منهم الوزير والقاضى والثري ولا من الحكمة المأثورة التي تقول : الحكومات بائدة والامة خالدة ، وهو في النهاية لا يخشى على قومه ومن بعده من حكم التاريخ القاسى الذي يجللهم بالعار

كان من حق المجاملة على الاقل لو ان للاسطورة حجة أن يرعوى عن نشرها حفظا لقلوب المسلمين بل صونا لكرامة ولي نعمته ومحافظة على شعوره فان نشر مثل هذه الاساطير ، يؤذي المشاعر حتى لو كانت صحيحة فكيف بها وهى قائمة على محض الاختلاق والتزوير ؟

وانا لنعلم معايب تأبى علينا رعايتنا الفضيلة وابقاء الصفاء بيننا وبين من اوصانا الله ورسوله بهم خيراً أذاعتها !!

ولكن سماحة الاسلام هى التى حملت اعداءه من المبشرين واذناب المبشرين على أن يتطاولوا الى النيل من قدسيته ، والله غالب على أمره وسوف يظهر دينه على الدين كله .

رمل الاسكندرية　　　　محمد ماضي ابو العزائم

كلمة أخيرة

فى رواية المعز لدين الله

أرسل الينا حضرة صاحب السعادة مرقص سميكة باشا الـكلمة الآتية :

نشرت السياسة مقالتين عن الرواية الخاصة بالخليفة المعز ليس في الاولى منهما سوى عبارات أرادت بها النيل من شخصي فاتهمتني بالجهل والتعصب والحقد والدس وسوء النية الى آخر ما شاء لها أدبها أن تلصقه بى . وليس عندي ما أرد به على هذه الشتائم الشخصية التى لا تدخل بطبيعة الحال في موضوع البحث سوى أن اقول لها انى ما ادعيت قط انى عالم وما أنا الا طالب حقيقة ابذل فى سبيلها كل ما استطيع بذله من جهد وأحمد لمن يرشدني اليها فضله . كما انه ليس من المعقول أن يتهم بالتعصب رجل قضى نحو ثلاثين سنة فى خدمة الجوامع والمساجد الاثرية في لجنة حفظ الآثار العربية وشرفه زملاؤه ومنهم من هم أكبر منه مقاما وأغزر علما بانتخابه رئيسا للقسم الفني فى هذه اللجنة

أما المقالة الثانية التي نشرتها السياسة بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان فجوابى على ما تضمنته هو ان كل ما نسعى اليه معشر الاثريين هو تحديد تاريخ كل أثر وبذل المستطاع فى هذا السبيل . فالآثار الفرعونية كالآثار العربية بنيت كلها تقريباً فى عهد ملوك أو سلاطين نقشوا أسماءهم عليها وتاريخها لهذا السبب معروف بالضبط أو بوجه التقريب . ولـكن الآثار القبطية تختلف عنها اذ لا يعرف تاريخ الجانب الاكبر منها الا بطريق الاستنتاج . ولذلك يستعان أحياناً بالروايات التي يرد بها ذكر ملك أو سلطان على الوصول الى معرفة تاريخها . واذا ذكرت تلك الروايات فانما تذكر لهذا الغرض وحده . وبهذا الاعتبار ذكرت الرواية الخاصة بعمودية كنيسة أبى سيفين لورود اسم المعز بها . أما موضوع هذه الرواية وهل هو صحيح أو باطل فلم يكن هو المقصود بذكر الرواية المشار اليها . وقد أوضحت هذه الحقيقة لاحد حضرات وكلاء الوزارات فى حديث دار بيننا قبل ان يكتب الاستاذ عنان في الموضوع ، والظاهر ان جميع الذين اطلعوا على هذه العبارة في التقويم منذ سنتين فهموا أن ليس المراد بها سوى وصف الاثر الذي اقترن بها لا موضوع الرواية فلم

يجدوا فيها ما يدعو الى أي اعتراض عليها . واذا كنت قد ذكرت بعض المصادر التى ذكرت هذه الرواية قبلي ، فلكي أنفي عن نفسى تهمة اختلاق .

هذا ما أستطيع أن اقوله رداً على مقالتى السياسة راجياً أن يكون آخر مايكتب فى هذا الموضوع

مرقص سميكة باشا



*

نشرة جريدة الاهرام مقالة بقلم الاستاذ الشيخ محمد عرفه هذا نصها :

المعز لدين الله واسطورة تنصره

ينبغي لدارس التاريخ أن يكون أمام ما يزاول من قضاياه كالصيرفي الماهر لا يروج عليه زائف . ولا ينفق عنده بهرج . وأن يعلم أن من اخباره الصادق والكاذب ومن قضاياه الحق والباطل وانه ان أخذ بمجرد الرواية دخل عليه من الكذب الشيء الكثير وكان كحاطب ليل ربما احتطب فى حبله ما يريد وما لا يريد وانه لن ينجيه من التورط فى الغلط الا حسن التثبت وعرض روايات التاريخ على العقل وطبيعة العمران وقواعد العادة فما خالف شيئا من ذلك طرح وبهرجه .

لو جرى صاحب السعادة مرقس سميكة باشا على هذه الشروط التي ذكرنا لكفانا مؤنة تفنيد هذه الاسطورة التي عزاها الى المعز لدين الله الفاطمي فقد كتب سعادته فى تقويم الحكومة عند الكلام على الآثار القبطية فى كنائس مصر ما يأتى :

(ان هناك كنيسة صغيرة بها احجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سراً)

وقد ناقشه حضرة صاحب السعادة احمد زكى باشا فى نسبة التنصر الى المعز لدين الله فذكر مرقس باشا انه اعتمد على نقلين احدهما « ابتلر » في كلامه على كنائس مصر ونصه : (وفي هـذه المعمودية عمد السلطان المعز حينما ارتد الى النصرانية) والثانى كتاب الخريدة النفيسة فى كتاب الكنيسة لقسيس قبطي ونصه (قيل ان المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين)

وقد زعم الباشا ان هذه الرواية متواترة من مئات السنين

ونحن ننتقد على الباشا أمرين أولهما انه نقل هذه الرواية واعتمد فيها على مجرد النقل من مؤرخي الكنيسة ولو تثبت فيها وطبق عليها أول علامة الخبر الكاذب وأجال فيها عقله لبان له كذبها. والثانى انه زعم أنها متواترة وذلك اما ناشيء من

عدم معرفته معنى التواتر أو من انه أراد أن يغالط في قضايا التاريخ وسأبين لسعادة الباشا وللقراء فساد هذين الامرين

الامر الاول ـ ذكر علماء النقد ان من علامات كذب الخبر أن تتوافر الدواعي على نقله ثم لا ينقل الا بطريق الآحاد ولا تنقله الجماعة المستفيضة بل يتفرد به الآحاد ولا تنقله الجماعة المستفيضة بل ينفرد به واحد ومثال ذلك أن يكون قوم في مسرح في ليلة واحدة ثم ينقل واحد منهم أن أحد النظارة قبل أحد الممثلين بذبحه بسكين على المسرح ثم لا ينقل هذا الخبر غيره ممن حضر التمثيل هذه الليلة فيقطع بكذب الخبر اذ لو وقع لتوفر الدواعي على نقله من الكثير ولم يختص واحد بحكايته اذ العادة تحيل ذلك . وحكاية تنصر المعز من هذا القبيل اذ لم ينقلها أحد من المؤرخين المسلمين لا من اعداء الدولة الفاطمية ولا من المتشيعين لها وانفرد بروايتها هذا القسيس صاحب تاريخ الكنيسة والفرد بتلر نقلا عن خادم الكنيسة مع أنها مما تتوافر الدواعي على نقله لما يحيط به من الغرابة ولأنه خبر نادر لم يحك مثله التاريخ

خليفة مسلم يحكم كثيراً من الاقطار الاسلامية يتخلى عن كرسي الخلافة ويتنصر ويلبس زي الرهبان ويدفن عند موته في كنيسة أبي سيفين ، يكون هذا كله ثم لا ينقل هذا الخبر مؤرخ من مؤرخي العصر وهم كثير وينفرد بروايته قسيس قبطي ، فرد واحد لا أقل ولا أكثر ، هذا مما يقطع بكذبه ، أين كان مؤرخو هذا العصر ؟ وأين كان مؤرخو الدولة الفاطمية ؟ وأين كان مؤرخو المعز لدين الله ؟ كل هؤلاء يجمعون على اغفال الحادثة مع أنهم لم يغفلوا ماهو أقل منها شأنا من شؤون المعز واخبار الدولة الفاطمية

ليس المعز خامل الشأن ولا مغمور المكان ولا هو واحداً من غمار الناس وليس الحادث قليل الخطر ، بل هو شديد الخطر عظيم الوقع لأنه ارتداد خليفة مسلم عن الاسلام الى دين النصاري ولبسه زي الرهبان ودفنه في كنيسة المسيحيين ولعل قائلا يقول ان اصدقاء الدولة الفاطمية كتموا ذلك خوف العار وانتقاض المملكة فنقول وأين كان المؤرخون رعايا الدولة العباسية أعداء الفاطميين وهم كانوا يبحثون جاهدين عن معايب يلصقونها بالدولة الفاطمية .

ان العباسيين قد عيوا بأمر الفاطميين وغصوا بمكانهم وخافوا منهم على دولتهم وقد قاسمهم الفاطميون ممالك الاسلام وكانوا شجى فى حلق الدولة العباسية وقذى في عينها وكان العباسيون يحاربونهم بالدعاية الدينية فتارة ينفون نسبهم عن آل البيت (بيت الرسول) ويجعلونهم أدعياء وغلبن فيهم ويشهدون على ذلك العلماء وكبار الدولة وتارة يرمونهم بالالحاد والكفر فلم يتركون هذه الثلمة لا يلجون عليهم منها ؟ ولم يتركون هذا المقتل وقد كان لهم باديا ويلجأون الى نفى نسبهم وهو مالا يسلمه لهم التاريخ ؟

لو قاس سعادة الباشا الغائب على الشاهد لقطع معنا بكذب هذه الرواية .

ليفرض ان البابا قد اعتنق دين الاسلام ونزل عن كرسى الفاتيكان ولبس زي العلماء الازهريين (الجبة والعمامة) ولزم الازهر حتى مات ودفن فيه أكانت تخرس ألسن الرواة والمؤرخين فلا ينقل هـذا الخبر إلا واحد من رجال الازهر وبعض خدمته أم تستفيض بذلك الاخبار ويتحدث به الركبان في الآفاق وينقله الجمع الكثير عن الجمع الكثير

وليس لقائل ان يقول ان تعميد المعز قد وقع سراً كما ذكر ذلك مرقس باشا فى تقويم الحكومه فلم يعلمه إلا الرهبان الذين عمدوه ولذلك اختصوا بنقله فنرد على ذلك بأن المراجع التي أخذ منها مرقس باشا واحتج بها لم تذكر حديث السرية بل ذكرت انه لبس زي الرهبان واعتزل الملك ولجأ الى الكنيسة ومات ودفن بها (وما يوم حليمة بسر) وانما الذي ذكر السرية هو سعادة الباشا وهذا الذي يدعونا الى الظن بأن فى المسألة ما هو أكثر من الخطأ إذ لما رأى الباشا الرواية كما هي فى مراجعها تفقد أول شرط من شروط صدق الخبر حولها الى ما ذكر لتهضمها عقلية هذا العصر

الحق ان هذه الرواية دعاية دينية يبتدعها الرهبان ليحضوا الناس على المسيحية لا أقل ولا أكثر

الامر الثانى — دعواه ان هذه الرواية متواترة منذ مئات السنين . هذا قول الباشا وهو الغريب هل يعلم الباشا معنى الخبر المتواتر ؟ وهل يعلم شروطه ؟ وهل يعلم ما يفيده الخبر المتواتر من العلم ؟ أظن انه لا يعلم ذلك إذ لو كان يعلمه ما جرؤ

أن يدعى التواتر لهذه الرواية ونحن نذكر له ذلك ليعتقد معنا ان روايته ليست متواترة وانما هي خبر آحاد لهم أغراض ومآرب في اثباته

الخبر المتواتر هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب أي لا بد أن يبلغوا فى الكثرة مبلغاً يرى المرء معه ان هؤلاء مع اختلاف أحوالهم وتباين أغراضهم ومشاريعهم ومع كثرتهم لا يمكن أن يتواطؤوا على الكذب فاذا أخبروا بخبر أفاد أخبارهم العلم اليقيني الضروري ومثال ذلك علمنا بوجود مكة فاننا لم نشاهدها وانما أخبر بوجودها جماعة كثيرة تباينت أغراضهم واختلفت مآربهم فلا يصدق العقل أن يتفقوا على الكذب

وقد اشترطوا فى الخبر المتواتر أن يخبروا عن علم لا عن ظن وأن يكون علمهم مستنداً الى الحس والمشاهدة وان تكون نقلته فى جميع ادواره بهذه الكثرة وعلى هذه الصفات فلو كان الخبر خبر واحد في مبدئه ثم تواتر بعد ذلك لم يكن خبراً متواتراً ولم يفد اليقين

فهل يرى الباشا بعد هذا ان رواية تعميد المعز متواترة أظن انه رجع عن هذه الدعوى إذ هو لا يمكنه أن يدعى ان المعز حينما تعمد رآه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وأخبروا بذلك جماعة مثلهم في الكثرة يستحيل تواطؤهم على الكذب وهكذا الى أن وصل الخبر الى سعادته . وكيف يدعى ذلك وهو قد ذكر انه تعتمد سراً واذا كان سراً ماشاهده جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب فأين الجهر

على ان من اعتمد عليه الباشا قد نقلوا الخبر وصدروه (بقيل) وهى عنوان الضعف ولم يستطع سعادته إذ كان بعد مراجعه ان يعد إلا اثنين احدهما أخذ عن خادم الكنيسة والثانى قسيس ولو ضعفنا هذين مائة ضعف أو مائتين لجوز العقل تواطؤهم على الكذب لانهم يخدمون غرضاً هو الدعاية الى الكنيسة

انى اعتقد ان الباشا اذا طاوع الانصاف رجع عن رأيه فى الرواية وأعلن ذلك الرجوع وحذفها من التقويم الجديد

محمد عرفه
المدرس بكلية الشريعة
الاسلامية

وفى يوم ١٨ أغسطس سنة ٩٣١ صدر بلاغ رسمي بان من بين الذين قابلهم دولة صدقي باشا فى سراى الوزارة (بيولـكلى) رمل الاسكندريه مرقس سميكة باشا ولم يذع سبب هذه المقابلة ولا ما دار فيها من الحديث

غير أن جريدة الأهرام نشرت، يوم العشرين من هذا الشهر أي عقب المقابلة كلمة لمرقس باشا بعد ما قرر من أنه نشر كلمته الاخيرة في الموضوع فكانت عودته الي الـكلام في موضوع المعز ليس لهامن تفسير الا أن حديثهما كان منحصراً فيهذه النقطة واليك ما كتب

كلمة

من مرقص سميكة باشا

الى فضيلة الشيخ محمد عرفه وسعادة احمد زكى باشا

ما برح حضرات الذين كتبوا أو يكتبون فىموضوع رواية المعز لدين الله الفاطمي يصرون على الدعوة بأني أنا صاحب هذه الرواية وانه لم يكن لها أصل، في مصادر التاريخ . فلحضراتهم أكرر ردي بأن هذه الرواية لغيري لا لي وقد ذكرت فى عدة مؤلفات أوربية وعربية وسواء كان سند الرواية فيها ضعيفا أو غير ضعيف فذلك ليس من شأني ولست مسئولا عنه . وفي كلمتي التي رددت بها على صديقى البحاثة احمد زكى باشا ذكرت على سبيل المثال فقط كتابا لمؤلف أوربى وآخر لمؤلف مصرى

كما أني لم أعد الحقيقة حين قلت ان الرواية يتناقلها الرواة من جيل الى جيل بدليل ان الدكتور بطلر سمعها من ٥٠ سنة فلا يجوز في شرعة العدل أن يوجه لي لوم على تقرير حقيقة لا يد لي فيها

هذا عن مصادر الرواية . أما عن موضوعها فقد شاء حضرات الـكتاب أن يفهموا من روايتي في التقويم ومما نشرته فى جريدة الاهرام الغراء أخيراً اني مسلم بصحة الرواية — وهذا معني لا يستطيع منصف أن يجده في كلامي لا تصريحا ولا تلميحا والاصرار عليه يعد قسراً لعبارة بسيطة على تأدية معنى غير معناها الواضح الصريح .

أما اذا كانوا يريدون بهذا أن يسمعوا مني بعبارة جلية اني لا أصدق هـذه الرواية فها أنا أقولها غير متردد . وما سمع أحد عني أو عن غيري من القبط اننـا أقمنا وزنا لرواية كهذه أو جعلناها موضوع تصديق لأنها ظاهرة البطلان ولو ان واحداً من حضرات الـكتاب سألني رأيي فيها من أول الامر بدلا من هذه الحملات الشخصية لكفيته مؤونة كل هذا العناء

بقي اني قلت — وأقول ثانيه للذين كتبوا والذين يسخرون للـكتابة — انى ما ذكرت هذه الرواية إلا كدليل على تاريخ أثر قديم في الـكنيسة . ففي كل بلدان العالم آثار ومعالم قديمة كل منها تعزي أو تلتصق به رواية خرافية أو غـير خرافية ولكن هذه الرواية كثيراً ما تساعد رجال الآثار على تعيين الزمن الذي وجد فيه ذلك الاثر ولو بالتقريب . فاذا ذكروها فانما يذكرونهـا لهـذا الغرض وحده دون سواه

مرقس سميكة



*

صدقى باشا

يقضى على الدسيسة المرقسية

بادعاء تنصر الخليفة المعز لدين الله

نشرت جريدة الثغر المقالة الآتية لمكتشف هذه الدسيسة الصحفى القديم وهذا نصها انشأت مقالتى الاولى التى نشرتها جريدة الثغر الغراء يوم ٥ أغسطس الجاري تحت عنوان (هل تنصر المعز لدين الله الفاطمى الحسينى ، منشيء الجامع الازهر — هذا ما يقوله فى تقويم الحكومة قبطى متعصب — وهل يليق ان يصدر ذلك عن مطبوعات الحكومة الرسمية)

وقد اتيت على تاريخ مرقس سميكة باشا وسوابقه فى التعصب ضد المسلمين وأنه سيء النية في دسه هذه الدسيسة فى تقويم رسمي يصدر باسم الحكومة اعتداء على خليفة من اعظم خلفاء المسلمين وانه اتخذ صورة جلالة الملك فؤاد المعظم في التقويم لتأكيد الايهام بأن الخليفة المعز لدين الله تنصر فى حياته بعد فتح مصر بجيوشه الجرارة وتخطيطه مدينة القاهرة وانشائه الجامع الازهر

ثم ختمت المقالة بالعبارة الآتية :

هذا بلاغ للناس قد بيناه فخرجنا به من تبعة العلم والسكوت. فعلى المؤرخين بل وعلى رجال الازهر الشريف من طلبة وعلماء أن يتولوا الامر بأنفسهم لانهم هم الذين يتبوأون ظلا وارقا مده المعز لدين الله بل هم وحدهم الذين امتلكوا تراثا تركه للمسلمين منذ نحو الف من السنين ، نعم عليهم أن يدافعوا عن عقيدته التى لقى الله عليها والمعروف أنها العقيدة الاسلامية وما شاد المعز هذا الجامع الا لحفظ هذا الدين القويم

على الازهر عامة ومشيخة الازهر خاصة والمؤرخين بالاخص أن يسعوا في القضاء على هذه الفرية بابادة ذلك التقويم الذي صدر بعد أن مضى من العام الذي خصص له سبعة أشهر . وكان مما لا يضر أن تبقى الشهور الخمسة من غير أن يكون لها مثل هذا التقويم الاثيم .

والآن فقد بلغت . فاللهم اشهد فأنت على كل شيء شهيد . »

نشرت جريدة الثغر هذه المقالة فهب الغيورون من الكتاب وفى طليعتهم احمد زكي باشا عميد دار العروبة والسيد احمد ماضى أبو العزائم وغيرهما كثيرون يؤازرون دعوتى ويؤيدون كلمتى فلهم مني أطيب الثناء واجمل المحمدة

وبالرغم من هذه الملحمة القلمية التي اشتركت فيها جرائد الاهرام والسياسة ووادي النيل (بالاسكندرية)ومصر والبلاغ والمقطم فان مرقس سميكة باشا جرى على سنة المبشرين من اشعاله نار الجدال ترويجا لدسائسهم بالمكابرة والعناد والادعاء بان الامر حقيقي ولو لم يكن له مستند الا أقوال خدمة الكنيسة الذين يستجدون الزائرين ويستدرونهم الرفد برواية أغرب القصص الذي يطرب اسماعهم وأي طرب يعتري المسيحي خصوصا اذا كان جاهلا — من أن يقال له ان خليفة من أعظم خلفاء المسلمين فتح مصر وأنشأ الجامع الازهر تنصر وتعمد في هذه المعمودية . ألا يفرغ كل ما في جيبه من النقود فى حجر ذلك الذى يحمل اليه هذه البشارة ؟

استمر مرقص باشا على عناده حتي دعاه الى بولكلي برمل الاسكندرية حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية المنسوب اليها صدور ذلك التقويم الاثيم .

وما كاد خبر هذه المقابلة يذاع حتى كثر القيل والقال فظن قوم أن مرقس سميكة باشا احتال في الحصول على هذه المقابلة ليوهم الناس أن رئيس الوزارة ووزير المالية راض عن التنويم بعد زيارته « أديار » وادي النطرون واذا كانت تلك الاديار وسكانها لا تعجز عن تعميد الخلفاء والملوك سراً » فهل تعجز عن تعميد الوزراء ما داموا يعتصمون بالسرية ! !

ولكن اليوم ظهر للعيان السر في مقابلة دولة صدقى باشا لمرقص سميكه وانها كانت مقابلة تعلم فيها مرقص سميكة باشا وامثاله درساً جديراً بالاعتبار . تعلم فيها أن الذي يلعب بالنار لابد أن يحرق يديه مهما برع فى الحيل والدسائس

تعلم مرقس سميكه باشا أن الذي يحاول ايقاظ الفتنة النائمة لابد أن يصب على رأسه الحميم وكل مافي الجام مما اعد لمن يوقظ الفتنه النائمة

ان صدقى باشا وزير جدلا يعرف اللعب واذا كان الدستور قد قرر أن « الاسلام دين الدولة » فهو ينفذ الدستور بغير هوادة أو تسامح

أخذ مرقس سميكة الدرس وتعلمه جيدا فرجع عن حملة التبشير الخفيه ضد الاسلام هزيماً شأن كل رعديد أثار موقعة لايقوي على الاصطدام فيها ، هزم مرقس سميكة فعدا على الاهرام يستغيث قائلا :

« اذا كانوا يريدون أن يسمعوا منى بعبارة جلية اني لا أصدق هذه الرواية (يزيد رواية تعميد المعز سراً فى معمودية كنيسة أبي سيفين التي أوردها بقلمه فى تقويم الحكومة) فها أنا أقولها . غير متردد . وما سمع أحد عني أو عن غيري من القبط (بالله دع القبط فى شأنهم ولا تلصق بهم سخافاتك) اننا أقمنا وزنا لرواية كهذه أو جعلناها موضوع تصديق لانها ظاهرة البطلان !!! »

بعد هذا نعلم ان الرءوس الجامحة لاتردها إلا اللجم القوية وان حكومة صدقي باشا ليس مما تروج فيها أسواق السخافات بل انها تترصدها بالشهب والرجوم ، فليعلم من لم يكن يعلم ان الذي لا ترده الملامة عن غيه فله شيء آخر يقرع به .

« * »

فيا أيتها الروح الحائرة ، روح المعز لدين الله ، روح المجاهد في سبيل الله إرجعي الى ربك راضية مرضية . فقد أدى واجبه وزير خليفتك على مصر . جلالة فؤاد الاول الذي يجلس من مصر مجلس المعز لدين الله ينشر فيها العدل والامان . فهذا الوزير الحازم قد ألزم بسيف حكمته ذلك الباغي أن يقطع بيده لسان فريته أرجعي أيتها الروح الطاهرة الى مقرك في دار الخلود ، وأنت أيتها العظام الشريفة المضطربة فى قبرك الكريم اهدئي . اطمأني . قري فى مكانك . فهذا وزير خليفتك قد أحسن الى سمعتك صنعا كما أحسنت فى حياتك الى المسلمين والاسلام صنيعاً

***

أبا السباع يا حامى الذمار . ألا من عزمة تبيد بها ذلك التقويم فتجعله طعمة للنار ليعلم الناس في المشرقين ان الحكومة لم تكن راضية عن هذه الدسيسة التي أدخلها عليها من أحسنت به الظنون وما كل من يحسن به الظن يكون أميناً انه سيقول غداً لقد أكرهت على اعلان ما قلت تفاديا من الوقوف في قفص الاتهام . أما صدور تصريح بمصادرة التقويم فهو الحق الذي لا يمكن للمبطل أن يأتيه من من بين يديه ولا من خلفه ، أفعل مشكوراً . تكن لك كلتا الحسنيين والله عند حسن الثواب

(ح)

وفي يوم ٢١ أغسطس نشر المقطم ما يأتي :

امير المؤمنين المعز لدين الله الفاطمي

لحضرة ابراهيم بك جلال القاضي بمحكمة طنطا الاهلية

هو الرابع من خلفاء الفاطميين ولكنه الاول بالديار المصرية .

وكان عالماً فاضلا جواداً حسن السيرة منصفاً للرعية ملماً بعلم النجوم خطب له على منابر الغرب كله من أقصى المغرب الأقصى الى برقة ومصر والشام والحرمين واليمن وبعض العراق وكانت جزيرة صقلية وسيسليا وأقليم جنوي من أملاكه وكان أسطوله ٦٠٠ قطعة بسود البحار

وكانت عصبية دولته من قبائل البربر صنهاجة وزناته ولوانة وكتامة ولكن العنصر الرومى من أبناء صقلية كان ظاهراً بين جنوده وخاصته وعلى رأسهم قائده العظيم جوهر الصقلي

وقد جلس المؤرخون على اختلاف مشاربهم يعددون مناقبه وحسن سياسته وحزمه الذي يفوق حزم المنصور العباسي فقال عنه المقريزي)ج ١٦٤ ص

« لقد استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة وهم أنصار دولته من البربر فدخلوا عليه في مجلس فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يخاطبهم ويفصح عن رأيه وسياسته الرشيدة

« يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لأم الامراء وانها الآن تسمع كلامى أترين اخواننا يظنون أنا في هذا اليوم تأكل وتشرب ونتقلب في المثقل والديباج الحرير والسمور والمسك والقباء والخمر كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فاحضرتكم لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما لابد لي منه من دنياكم وبما خصنى الله به من امامتكم وانى مشغول بكتب ترد عليّ من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى واني لا أشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما أفعله ولا تظهروا التكبر والتجبر

فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الي لتحنى عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعده عن نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة عنهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم فحسب الراجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بابدانكم وعقولكم واعلموا أنكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب المغرب لكم »

ومثل هذا المقال من الامام المعز يميط للناس النقاب عن زهده ويقظته وسهره على دولته وحرصه على حياة رجاله وحبه العدل

ويدلك على رسوخ قدمه فى الاسلام وكمال ثقته بنسبه الشريف ان حربا قامت فى الحجاز فى عهده بين بني عمه امراء مكة من سلالة الحسن بن علي بن أبى طالب وبين بني عمهم من سلالة جعفر بن أبي طالب فأصلح المعز بينهم وحمل ديات القتلى منهم من ماله وانفذ المال مع وفوده فصارت هذه اليد له عند بنى الحسن وكان ذلك عام ٣٤٨ ه فلما فتح جوهر الصقلي مصر بادر الحسن بن جعفر بالدعاء للمعز على منبر مكة المكرمة

ومن حسن سياسته انه اذا وثق من اخلاص أحد رجاله وسرته كفايته غمره بما لا مزيد عليه من نعمته وأعلن بين الناس رضاءه عنه

فقد خرج قائده العظيم جوهر الصقلي وأحسن نشأته فكان قائداً مجربا حازما موفقا في البعوث مسعود الحركات عظيم الاخلاص لمولاه المعز وامتدت فتوحاته الى اقصى المغرب من جانب المحيط وحمل الى مولاه من ماء المحيط سمكة فى إناء به ماء ليدل على مبلغ ما انتهى اليه الفتح

ولما عزم المعز على فتح مصر أعد لها جوهراً الصقلي وأمره على « مائة الف فارس » واطلق يده فى بيوت الاموال وأجمع المؤرخون ان المعز انفق على جيش جوهر ٢٤ مليون دينار وهذا بحق هو ذهب المعز وخرج يشيع جوهراً بنفسه وأمر أولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا فى خدمة جوهر وهو راكب . وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة فى خدمته

فلما قدم جوهر برقة أراد واليها أن يهديه ٥٠ الف دينار على أن يعفيه من ترجله ومشيه في ركابه فأبى جوهر الا أن يمشي فى ركابه كما أمر بذلك مولاه المعز ورد الهدية الى والي برقة

وكان المعز قد أنفذ مع جوهر قائداً مغربيا يدعي جعفر بن فلاح فانفذه جوهر لفتوح الشام فلما فتحها شمخ بأنفه وكان يرى نفسه أجل من جوهر فأرسل البشرى بفتح الشام الى المعز رأسا دون أن يعلم جوهراً فرد اليه المعز كتبه باختامها وكتب اليه :ـ

« قد اخطأت الرأي لنفسك نحن قد انفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب اليه ولا تتجاوز بعد »

وفتح جوهر مصر للفاطميين مواليه عام ٣٥٨ ﻫ وبادر ببناء مدينة القاهرة المعمرة الخالدة وهي الباقية الى اليوم من مدائن الاسلام بمصر ولم يبق الا ثماني سنوات حتى يحتفل الناس ببلوغها ألف عام

وبعد أربع سنوات من الفتح قدم المعز مصر مع ابنائه وأهله وعمومته وأنصاره .

وصنع المعز شمسية جليلة القدر توضع فوق الكعبة المكرمة فلما أتم صنعها نشرها يوم عرفه على ايوان القصر الكبير وكانت سعتها ١٢ شبراً طولا فى مثلها عرضا وارضها من الديباج الاحمر ويعلوها ١٢ هلالا من ذهب فى كل هلال اترجة من ذهب مشبك وفى جوف كل اترجة دوة كبيرة كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وقد كتب على دائرتها آيات الحج بزمرد اخضر ولما نشروها على ايوان القصر كان موضعها عال يراها من فى القصر ويراها الناس من خارج القصر وقد ضبها عدة فراشين لثقل وزنها

وقد ابتكر المعز فى الجندية بمصر نظام الفروسية ولعله اقتبسه من فرنسا واسبانيا فى ذلك العهد فابتنى في شمال القصر الكبير سبع ثكنات كبار سموها حجر الصبيان كان امتدادها من يسار حارة الجوانية الحالية لغاية باب القصر واختار من ابناء الناس الشبان الذين عرفوا بالشهامة وجمال الخلقة وقوة البدن وطول القامة وجمع منهم خمسة آلاف شاب وأقام لهم المعلمين يلقنونهم سائر العلوم وفنون القتال واساليب

الحرب وزودهم بأحسن أنواع السلاح واتخذ لهم اصطبلات لخيولهم في الفضاء الذي كان أمام ثكناتهم

وكان أولئك الفرسان لايمارسون القتال على التوالي بل كانوا على غاية الاهبة رهنا لاشارة من القصر وقد خرج من مصافهم كبار قواد الدولة

وكان بينهم رجلان قد بلغا الغاية في شدة البأس والشجاعة احدهما ابن فائز والآخر الديلمي وقد عرفت شجاعتهما فى كافة الثغور وكان الرجل منهما يأكل الخروف المشوي لفرط نهمه وقد احبهما الخلفاء واغدقوا عليهما جوائزهم

وفى ٢٥ أغسطس نشر مايأتى :

— ٢ —

لما قدم القائد الكبير جوهر الصقلي فاتحاً الديار المصرية بادر الى بناء القاهرة لتكون دار الخلافة العظمى فكان تخطيطها يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ وأتم بناءها فى ثلاث سنوات فشيد فيها قصر الخلافة وهو القصر الشرقى ومكانه الآن خان الخليلي والمشهد الحسينى ممتداً الى الجنوب الى أول شارع الصنادقية بالغورية والى الشمال الى جدار الجامع الاقمر القائم الآن تجاه سبيل السلحدار وكانت مساحتها أول الامر ٣١٥ فدانا وطولها ١٢٠٠ متر وعرضها ١١٠٠ متر وكانت مساحة القصر خمس مساحة المدينة ثم بنى الجامع الازهر الى جنوب القصر وبينهما رحبة عظيمة وطوق المدينة بسور عظيم وأقام شمالها خندقين متجاورين عرض كل واحد عشرة أذرع وعمقه كذلك وصار الخندق بعد ذلك ضاحية للقاهرة وهي عزبة الدمرداش المعروفة واتخذ في السور عدة أبواب وشيد نحو عشرين حارة للأمراء والجنود الذين فى خدمة الخلافة

ودخل المعز مدينة القاهرة يوم الثلاثاء ٧ رمضان سنة ٣٦٢ بين عشائره وجنوده وشيعته العظيمة وكان دخوله من باب زويلة وهو غير الباب الذي نراه اليوم (باب المتولي) فان ذلك الباب كان الى الشمال من الباب الحالي ومكانه ملاصق لسبيل العقادين الذي على باب حارة الروم — فلما مضى من عمر الدولة مئة عام قام وزيرها أمير الجيوش بدر الجمالي فزاد في امتداد القاهرة الى الشمال والى

الجنوب وبني باب زويلة وبني بابي النصر والفتوح الحاليين حتى أصبحت مساحتها ٤٠٠ فدان

وكانت قبيلة زويلة المغربية في ركاب المعز عند دخوله القاهرة ولذلك سمي الباب الذي دخل منه باسم تلك القبيلة كما سمي الباب الغربي للمدينة باسم بن حيان الصقلي وهو القائد الذي دخل بجنوده منه والى الآن يسمى أثرة درب سعاده أما مكانه ففي البناء الذي فيه محافظة القاهرة الآن

وكان قصر الخلافة قد بلغ الغاية فى الجمال والزخرف فلما بلغه المعز خر ساجداً لله وصلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه

وقال المؤرخون في وصف الايوان الكبير انه فاق في سعته ورونقه قصر الخلد الذى للرشيد ببغداد فقد كان ينصب فيه السماط فى المواسم والاعياد وطول السماط ٣٠٠ ذراع وعرضه ٧ ازرع فكم كان طول هذا الايوان العظيم ولو علمت أن ذلك الايوان على سعته البالغة وعلوه الباذخ كان يزين باستار الديباج المذهب وبسط الحرير الموشي وان ما يفرش فيه صيفا غير مايفرش فيه شتاء لاحطت ببعض مابلغت تلك الدولة المصرية من الجاه والثروة والنعمة

وقد جعل المعز مدينة القاهرة ذات حرمة وتقديس فلا يجوز سكناها لغير الخليفة وأهله وجنوده الخاصة وكانت مدينة الفسطاط أو كما كانت تسمى (مدينة مصر) هي العاصمة التجارية والاجتماعية ترد اليها البضائع وتصدر عنها وفيها مقر الاعيان وارباب الثروة ورجال العلوم والصنائع والحرف وكانت الثروة عظيمة والتجارة واسعة بسبب اتساع ملك الفاطمين كما كان الرخاء بالغامداه فقد بيع أيام المعز كل خمسة ارادب بدينار

وكان الشارع الممتد من شمال القاهرة الى جنوبها من باب الفتوح وباب زويلة يسمى قصبة القاهرة وكانت تلك القصبة ذات حرمة وافرة وهيبة مستمدة من هيبة الخلافة فكان رسل ملوك الروم اذا بلغو باب الفتوح نزلوا عن دوابهم وساروا الي القصر سعياً على الاقدام وكانو يقبلون الارض طول الطريق

وكان لباب الفتوح بالذات حرمة كبيرة فاذا غضب الخليفة على احد من

الناس تراه قد خرج الى باب الفتوح وكشف رأسه واستغاث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالسير الى القصر

وكان لايجوز ان يمر بقصبة القاهرة فارس يسوق فرسه ولا يمر بها حمل تبن ولا حمل حطب ولايمر به سقاء الا وداويته مغطاة

وكان ارباب الحوانيت بالقصبة يعدون عند كل حانوت زيراً مملوءا بالماء مخافة الحريق ويوقدون على الحوانيت القناديل طول الليل فتضيء الى الصباح بل كانت كل دروب القاهرة وسككها وشوارعها وحوانيتها ودورها منارة ليلا فكنت تسير من القاهرة الي الفسطاط فى أنوار ساطعة

وكان اطول الشوارع الشارع المار من رأس الحسينيه الى بوابة السيدة نفيسه وكان طوله ٤٦٠٠ متر وفيه ١٢٠٠٠ حانوت للتجارة وقد كان يضاء ليلا وهذا غاية مابلغ اليه الترف والمدنية والجاه بدول العالم

وكانوا قد أعدوا الكناسين يكنسون شوارع القاهرة ويرشونها كل يوم ويقطعون ماتجمد على الارض من التراب حتى لايعلو أرض الشوارع عن المستوى الطبيعى وكان الخليفة اذا تحرك موكبه للصلاة بالمسجد كنسوا الرحاب الفسيحة وفرشوا بها الرمل الاصفر

وقد زار القاهرة سائح فارسى يدعى الناصر خسرو وذلك بعد بنائها بخمسين عاما فقال عنها « انه قل ان يجد لها شبيها فى مدن العالم وأغلب دورها من خمس طبقات أو ست ولحسن الصناعة واتقانها يظن الناس انها بنيت من الحجارة الكريمة .

فلما زال ملك الفاطميين عن مصر صارت القاهرة مدينة سكني لجمهور الناس بعد ان كانت للخليفة وخواصه فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام

وكان المعز من المعجبين بالشعر والادب يصل الشعراء ويجزل لهم الصلات وكان شاعره الفحل ابن هانىء الاندلسى فقد كان في منزلة المتنبي وجاء بالدرر الغوالي من المديح والثناء على المعز وعراقة نسبه ولكن هذا الشاعر العظيم قتل قبل دخول المعز الى مصر فاشتد أسفه عليه وقال لقد كنت أرجو أن أفاخر به شعراء المشرق .

وكان المعز حريصا على حيازة آلة الحرب ذات الاثر التاريخي فجمع في خزائن سلاحه سيف جده علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ويدعي ذا الفقار وضم اليه الصمصامة وهو سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي وسيف جده الحسين بن علي ابن أبي طالب ودرعه ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف كافور الاخشيدي واشتد ولعه بآثار الخلفاء العباسيين كأنه كان يحدث نفسه بأنه وارث ملكهم وهذا هو الذي افعم صدور العباسيين حقداً وكراهية

فجمع المعز بين ذخائره أكثر من مئة مركاس ثمينة نقش عليها اسم هارون الرشيد وغيره من ملوك العباسيين وحاز المضرب الحرير الاسود الذي مات به هارون الرشيد بمدينة طوس وسرادق من الحرير الاحمر منسوج بالذهب كان للخليفة المتوكل العباسي وجمع الى ذلك تلك الحصير الثمينة المنسوجة بالذهب واللؤلؤ وهي التي جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على الخليفة المأمون العباسي

وكان أكبرهم المعز أن يروى غلة العلم والادب وهي سليقتة فبنى بالقصر أربعين خزانة للكتب جمع بها زهاء مئتى ألف مجلد فمنها كتب الفقه على جميع المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ وسير الملوك وعلوم النجوم والروحانيات والكيميا والطب والمصاحف الكريمة وبقايا الخطوط المنسوبة لكبار الخطاطين وقد أجمع المؤرخون على ان دار الكتب الفاطمية كانت من عجائب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم منها

وقد صنع المعز أطلسا في الجغرافيا من الحرير الازرق المنسوج بالذهب وسائر الوان الحرير بين فيه أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها وخطط به مكة والمدينة وكتب اسماء المدن والجبال والبحار بالذهب أو الفضة أو الحرير وذيل الاطلس بما يأتى : —

أمر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ٢٥٣ هـ والنفقة عليه (٢٢ ألف دينار)

وصارت القاهرة من عهد المعز حاضرة الاسلام الكبرى كل أيام الفواطم الى ان دالت دولتهم عام ٥٦٧ هجرية

ابراهيم جلال

تصريح فضيلة الاستاذ الاكبر
شيخ الجامع الازهر

وفي ٢١ أغسطس تلقي حضرة الاستاذ الفاضل احمد عبد الحليم العسكري أحد محرري الاهرام من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ الاحمدي الظواهرى شيخ المعاهد الدينية التصريح الآتى

السؤال — واسطورة تنصر المعز لدين الله يا مولانا . فهل بلغ الى مسامع فضيلتكم تلك الضجة التي أقيمت بشأنها وهل من الانصاف أن يقال عن المعز لدين الله مؤسس الازهر انه تنصر فى احدى الكنائس ؟

الجواب — نعم سمعت بها وعنيت بموضوعها كل العناية لان المعز لدين الله عظيم من عظماء التاريخ الاسلامى وكان من آثاره بناء الجامع الازهر وهذه الاسطورة لا أساس لها من الصحة . وقد دهش الناس حينما علموا انه ورد فى التقويم الذى نشرته المطبعة الاميرية عند الكلام عن كنيسة أبى سيفين «ان بجانبها كنيسة يقال ان الملك المعز لدين الله قد تعمد فيها سراً » أقول دهش الناس لمثل هذا ، وذلك لان لهذا التقويم صبغة رسمية يجب أن ينزه معها عن مثل هذه الاسطورة التي تضاد الواقع وتمس العواطف الاسلامية . واذا كان قد فات القائمين بأمر هذا التقويم ملاحظة ذلك فقد سرني ان حضرة مدير المطبعة قد كتب فى صدره « انه رغما من بذل العناية في جمع هذا التقويم لا يزال يحتاج الى معونة كل من يطلع عليه فيرشدنا الى نقص أو خطأ وقع فيه أو الى اقتراح يزيد معه فائدته » ولذلك أرجو أن يبادر الى تدارك هذا الخطأ فى اقرب وقت

واني لأعتقد أن حكومة جلالة مولانا الملك حفظه الله للدين والبلاد والعباد تعمل دائما على كل ما يصون الحقائق التاريخية والعواطف الاسلامية وانها وعلى رأسها حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا الحازم الحكيم تعمل دائما على تحقيق رغبات جلالة مولانا الملك فيما يتعلق بالشؤون الدينية والعلمية والخلقية والاقتصادية وعلى توفير اسباب السعادة والهناء لهذه الامة الكريمة التي قابلت نبأ عدول حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك عن السفر للاستشفاء ايثاراً لمصالحها

على صحته الغالية المفداة بعظيم الابتهاج والشكر والضراعة الى الله سبحانه وتعالى أن يبقيه محروسا بعنايته الصمدانية ممتعا باوفر انواع الصحة والهناء قرير العين بسمو ولي عهده



*

ونشرت جريدة البلاغ مايأتى :

المعز لدين الله الفاطمى

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ بكلية الآداب

كثر الكلام في هذه الايام حول المعز لدين الله الفاطمي وظن البعض انه اعتنق النصرانية بعد مجيئه الى مصر فى سنة ٣٦٢ هـ . وظل على نصرانيه الى ان مات في سنة ٣٦٥ . وقد تصدي للرد على هـذا القول حضرة صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا وحضرة القاضي الفاضل الاستاذ ابراهيم جلال . كما ورد لهذا الموضوع ذكر في حديث حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر المنشور بجريدة الاهرام الصادرة فى ٢١ أغسطس الجاري :

لهذا رأيت من واجبى ، كأحد المشتغلين بالتاريخ الاسلامى . أن أقول كلمتي في هذا الموضوع ، متحاشيا ذكر ما يتعلق بحياة المعز السياسية والادارية

ولقد كفانا حضرة الاستاذ ابراهيم جلال مؤونة ايراد نص الخطبة التي القاها المعز على رؤساء كتامة في مدينة المنصورية حاضرة ملكه في بلاد المغرب وهـذه الخطبة لاتترك مجالا للشك في مبلغ زهد المعز ، ففيها تتبين السياسة التى جرى عليها المعز . إذ قد أوضح فيها لاتباعه عيشة الزهد والتقشف التي يعيشها ، فبين لهم انه خصص همته لبلوغ غاية واحـدة . هى نشر نفوذه الديني والزمني فى المشرق (واني لا أفضلكم فى احوالكم إلا فيما لابد لي منه من دنياكم ، وبما خصني الله به من امامتكم . وانى لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما صان أرواحكم ، وعمر بلادكم ، وأذل أعداءكم . وقمع اضدادكم فافعلوا ياشيوخ فى خلواتكم مثل ما أفعله ... الخ)

وان العهد الذي قطعه جوهر على نفسه ، بصفته قائد الخليفة المعز ونائبه في مصر ليعطينا صورة صادقة للسياسـة التي عول الفاطميون على نهجها من الوجهتين السياسية والدينية فى مصر خاصة والشرق عامة . ويجمل بنا أن ننقل شيئاً عن هذا

العهد عن المقريزي في كتابه اتعاظ « الحنفا بأخبار الخلفا » (ص ٦٧ — ٧٠) عساه يبين للقارىء مبلغ تدين المعز وقائده ، ومحافظتهما على الشعائر الدينية الاسلامية . يقول المقريزي « فعاجله (أي عاجل عدوهم القرامطة والبيزنطيين) مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه باخراج العساكر المنصورة ، وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق التي عمهم الخزي وشملتهم الذلة . . . وآثر اقامة الحج الذي تعطل ، وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف استولى عليهم ... وان أجبركم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال . وأن أتقدم في رم مساجدكم وتزيينها بالفرش والايقاد . وان أعطي مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ... وان تتركوا على ما كنتم عليه من اداء المفروض في العلم والاجتماع عله في جوامعكم ومساجدكم . وثباتكم على ما كان عليه سلف الامة من الصحابة رضي الله عنهم . والتابعين بعدهم . وفقهاء الامصار الذين جرت الاحكام بمذاهبهم وفتواهم . وان يجري الاذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه . والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله في كتابه . ونصه نبيه صلى الله عليه وسلم في سلته وأجرى اهل الذمة على ما كانوا عليه .

فهذا العهد يكشف لنا السياسة التي سار عليها المعز ومن أتى بعده من الخلفاء الفاطميين ، وهي سياسة قوامها المحافظة على الشعائر الدينية . وتدعيم الاسلام .

***

ويحدثنا ابن خلكان (وفيات الاعيان ٢ ص ١٣٤) ان المعز عند ما دخل الاسكندرية في ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ . قدم عليه أعيان البلاد ، فخطبهم خطبة طويلة ، أخبرهم فيها انه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لمال . وانما أراد اقامة الحق وحماية الحجاج واعلان الجهاد ضد الكفار وأن يختم حياته بالاعمال الصالحة ، ويعمل بما أمر به جده صلى الله عليه وسلم . ووعظهم وأطال في الوعظ حتى استدر دموع بعض الحاضرين

وهذا يدل على أن الفتوح التي قام بها المعز ، كان الغرض الاول منها الجهاد

ضد الكفار ، وهم فى نظره البيزنطيون المسيحيون الذين هددوا بلاد الشام التي كانت تابعة لمصر فى ذلك الحين ، وكذا غيرها من البلاد الاسلامية .

فاذا كان المعز ينشد التقرب الى الله سبحانه وتعالى عن طريق الجهاد ضد هؤلاء البيزنطيين ، فكيف يعقل اذاً أن يتحول عن دينه مع تصريحه فى خطبته انه أراد بجهاده اقتفاء أثر جده محمد صلى الله عليه وسلم ، مؤسس دعائم الدين الاسلامي ولسنا نشك في صدق رواية ابن خلكان لتعصبه للمذهب السني الذي يخالف المذهب الشيعي مذهب الخلفاء الفاطميين .

ويحدثنا ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٢) فى موضع آخر ان المعز لما وصل القاهرة ودخل القصر الذي بناه له جوهر وصار في احدى ردهاته ، خر ساجداً لله تعالى ثم صلى ركعتين . ومن ذلك وغيره ترى شدة تمسك المعز بالاسلام ، وحرصه على انتشار سلطان الدين ونفوذه .

فاذا كان المعز يعتقد ان مصر بلاد اسلامية يتمسك السواد الأعظم من أهليها بالمذهب السنى المخالف لمذهب الفاطميين ، فكيف يتصور أن يطرح الدين الاسلامي الذي نشأ عليه ، وجاهد فى سبيل اعلاء شأنه وفتح مافتحه من البلاد باسمه ، وبقي خليفة مسلما قبل مجيئه الى مصر زهاء احدى وعشرين سنة — كيف يصح فى الاذهان انه يتحول عن الاسلام كلية . الى دين لايدين به الا اقلية قليلة من المصريين ، وهو فى أوائل عهد خلافته فى مصر التي ظل يدأب على اقرار النظام فيها ، سيما اذا علمنا أن أكثر المصريين كانوا — كما ذكرنا — يدينون بالمذهب السني ، وينظرون الى الشيعيين والمعز على رأسهم نظر البغضاء والكراهة ؟ واذا كان المعز نصرانياً — ولو في الباطن — فلا ينتظر منه أن يعمر المساجد ، وينشىء الجامع الازهر العظيم ، وأن تضرب السكة باسمه ، ويشيد فيها بالاسلام وبالنبي وعلي ابن أبي طالب وأولاده من بعده ، فينقش عليها « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة على افضل الوصيين ، وزير خير المرسلين » ؟

***

ويقول المؤرخ المصري الحسن بن ابراهيم بن زولاق المتوفي سنة ٣٨٧ هـ .

والذى عاصر المعز لدين الله ، ان المعز ابطل اقامة الاحتفال بعيد النوروز ، وصلب كل من لم يخضع لهذا الامر . ونحن ننقل قول ابن زولاق القاريء: «ثم لما تولى المعز مصر ، منع القبط من صب المياه في يوم النوروز في الطرقات ، ووقود النار (في تلك الليلة) ومن النزول في المراكب . وضرب الخيام على شاطيء البحر (يعنى النيل) عند المقياس ، لانه كانت تحصل بسبب ذلك مفاسد عظيمة ، فابطل (ذلك جميعه ، ونادى ان كل من يفعل ذلك يصلب ، (المكتبة الاهلية بباريس . مخطوط ١٨١٧ ورقة ١٤٨)

فاذا كان المعز قد تنصر ، أفلا يكون من المنتظر أن يغض الطرف عما يحدث من الاضطراب في ذلك اليوم ؟ هذا إذا علمنا أن غيره من الخلفاء الفاطميين قد سمحوا بالاحتفال بهذا العيد وغيره من أعياد النصارى . كيوم الغطاس ويوم الميلاد وعيد النصر وخميس العهد ، فقد ابقوا عليها مشاركة للاقباط في شعورهم الدينى ، كما كانت الحكومة الفاطمية توزع الهدايا في هذه الاعياد على كبار رجال الدولة

وان اسناد الفاطميين بعض المناصب الكبرى للاكفاء من أهل الذمة قد يحمل البعض على الظن بان المعز — أو غيره من الخلفاء الفاطميين قد خرج على الاسلام ودان بالنصرانية . وهذا الظن مصدره بعض الكتب الكنسية ليس غير ، أو مظاهر العطف التي كان يحوط بها الفاطميون المصريين من أهل الذمة وليس هناك شك في أن الفاطميين قد بالغوا في مجاملة أهل الذمة ، فقلدوهم الاعمال الكتابية والحسابية والتحرير في ديوان الخليفة ، حتى بلغوا المناصب العالية كالوزارة . وهنا يقول بحق الدكتور أوليردي دي ليس في كتابه « موجز عن تاريخ الخلافة الفاطمية » (ص ١١٤)

A SHORT HSTORY OF TPE ATIMID FAT', P 114

ولو ان استخدام النصارى واليهود في الوظائف المدنية هو عرف شائع قليلا أو كثيراً في البلاد الاسلامية ، فقد بالغ الفاطميون انفسهم في استعماله أكثر مما جرت به العادة من قبل »

وعلى الجملة فقد كان الفاطميون يعاملون النصارى واليهود معاملة تنطوى على العطف والتسامح وعاملوا ابناء هاتين الطائفتين غير مرة معاملة تتجلى فيها المحاباة

ومراعاة خواطرهم ، حتى قلدوهم أرقى المناصب واعلاها في عهد الخليفة العزيز (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ) ابن المعز وشغلوا في عهد المستنصر (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) ومن جاء بعده من الخلفاء معظم الوظائف المالية في الدولة . بل تقلدوا الوزارة أيضا . وتمتعوا بقسط وافر من سياسة التسامح الدينى . يشهد بذلك ما كان من بناء عدد من الكنائس أو من اعادتها الى ما كانت عليه من قبل .

ولم تقتصر هذه المعاملة على ما تقدم ، فقد أولع بعض الخلفاء الفاطميين بزيادة اديرة النصارى وكان الآمر يعطى الرهبان في دير نهيا الواقع بالقرب من الجيزة عشرة آلاف درهم كلما خرج للصيد بالقرب من هذا الدير، ويحدثنا أبو صالح الارمنى النصرانى المتوفي سنة ٦٠٦ هـ . والذى زار مصر بعد انقضاء الدولة الفاطمية بقليل في كتابه « كتاب ديارات مصر » أن موارد الكنيسة المصرية زادت زيادة تذكر في عهد الفاطميين .

انتهى

*

فهرست